

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

MINISTRE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEUR ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE

ⵓⵎⵓⵍⵓⵔ ⵎⵎⵎⵎⵔ ⵉⵏ ⵓⵣⵓⵣⵓ

ⵖⵓⵏⵉⵔ ⵉⵏ ⵓⵎⵓⵍⵓⵔ ⵎⵎⵎⵎⵔ ⵉⵏ ⵓⵣⵓⵣⵓ

UNIVERSITE MOULOU D MAMMERI DE TIZI-OUZOU

FACULTE DES LETTRES ET DES LANGUES

Département de Langue et littérature

Arabes



جامعة مولود معمري - تيزي وزو

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

رقم الترتيب

الرقم التسلسلي

مذكرة لاستكمال نيل شهادة الماستر

الميدان: لغة وأدب عربي

الفرع: دراسات لغوية

التخصص: لسانيات تطبيقية

آراء شريف الشوباشي اللغوية والنحوية من خلال كتابه (لتحيا
اللغة العربية يسقط سيويه) - دراسة وصفية تحليلية -

إشراف الأستاذة:

- جميلة راجح

إعداد الطالبة:

- فائزة حمادي

أعضاء لجنة المناقشة:

رئيسة.	أستاذة محاضرة صنف أ، جامعة مولود معمري تيزي وزو	د. فائزة تيقرشة
مشرفة ومقررة.	أستاذة محاضرة صنف أ، جامعة مولود معمري تيزي وزو	د. جميلة راجح
ممتحنة.	أستاذة محاضرة صنف أ، جامعة مولود معمري تيزي وزو	د. مسعودة سليمان

السنة الجامعية 2022/2021م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ
دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}

سورة المجادلة: الآية (11)

إهداء

إلى أعظم رجل علّمني أنّ الدمّ لم يكن يوماً معياراً للأبوة
"عويداد رشيد" الذي ربّاني وداواني وعلّمني دون أن يشتكي يوماً،
أنت أبي الذي لن يكرره لي الزّمن،
أنت سندي وكتفي في الحياة الذي لن يسمح لي بالسقوط.
إلى أمّي "توات فاطيمة"، أمّي ثمّ أمّي ثمّ أمّي،
يا لحظّ القلم الذي يكتب اسمك،
فهو ليس مجرد لفظ يتفوّهه لساني وإنّما لحن تتغنّاه أوتار قلبي،
يا التي لو ملأت كل أوراق وجدران العالم أشعاراً عنك،
فإنه لن يكون كافياً لوصف عشقي لك.
فيا: «رَبِّ ارْحَمَهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا» [الإسراء:64]
إلى أختاي "ياسمين وفاطمة" قرّتا عيني، روعي وسعادتي أنتما،
يا من تقف الحروف عاجزة في وصف حبي لكما.
إليكم أهدي هذا العمل!

فايزة حمادي

مَقْتَمَة

تعدّ اللغة مظهرا من مظاهر تاريخ الحضارة، التي لا تكتسب كينونتها وهويتها إلا من خلالها. فاللغة وجدان المجتمع ووجوده، ورسالته ومرآة أفكاره، وتاريخه وانتصاراته. كما أنّها أهمّ أدوات التعبير عن المعرفة والذات والآخر، وبها يكون التّواصل والتّداول، ووسيلة لإيداع المعرفة للأبناء والأجيال القادمة، وما يزيد من أهمّيتها أنّها مكوّن أساسي من مكوّنات الهوية الوطنيّة والقومية والدينيّة، تماما كما هو الحال مع اللّغة العربيّة التي هي عنوان الأمة العربيّة، ودستور الدّين الإسلامي، ولغة العبادات، والعلوم والآداب الإسلاميّة.

وقد احتلّت لغة الضّاد مكانة مميّزة عند العرب، كونها تمثّل عن أقدس ما يعبر عنها وهو القرآن الكريم لذا عكفوا على دراستها ورسم حروف لها ووضع قواعد تحكمها، وألّفوا فيها تراثا عظيما، أين بذل علماء اللّغة مجهودات جبّارة في سبيل جمع واستقراء جملها وعباراتها من قلب الجزيرة العربيّة ومن أسنة أهلها الفصحاء ثمّ القيام بتدوينها، حفاظا عليها وضمانا لسلامتها في جميع مجالات المشافهة والكتابة، وتأسيس تلك الأحكام والاتّفاق عليها ليخضع لها كلّ من يرغب في تعلّم العربيّة وواصلت هذه الاجتهادات عبر العصور حيث ظهرت للّغويين مصنّفات لغوية كثيرة تشمل مختلف المستويات النّحوية، الصّرفيّة والدلاليّة لتكون في خدمة النّاطقين بالعربيّة وغير النّاطقين بها الراغبين في تعلّمها وتكلمها، ومرجعا للمعلّمين والمتعلّمين. وبالرّغم من أنّ هذه المجهودات نالت استقبالا بصدور رجب من الكثير إلا أنّ هذا لم يمنع وخاصّة بعد مرور الزّمن وتغيّر طريقة الحياة من تعالي صيحات التّذمر والشّكوى منها ووصفها بالصّعوبة والغرابة والتّعقيد، فظهرت محاولات عديدة ينادي بعضها بتيسير القواعد العربيّة أو تغييرها، والبعض الآخر يدعو إلى تسهيل وإصلاح طرائق العملية التّعليميّة وتطويرها دون المساس باللّغة. وزادت حدّة هذه الشّكوى في العصر الحديث وأنّ القيام بالحركة الإصلاحية اللّغوية لا بدّ منها، وأنّها حتميّة ضرورية ألزمتها أزمة المجتمع الحالي المصاب في هويته ولغته التي تحول دون أن تديع صيتها العظيم إلى العالم ومواكبة هذا الزّمن، والتّطور التّكنولوجي والعلمي الذي يسيطر على كل بقاع الأرض. وهنا انقسم الدّاعون للإصلاح إلى طرفين: طرف يرى أنّ السّبب في عجز اللّغة عن مواكبة التّطورات يكمن في اللّغة نفسها وكيانها. أمّا الطّرف الثّاني فيرجع أساس المشكلة إلى إهمال أهلها لها وطرائق تدريسها.

ولقد أخذت من كتاب "لتحيا اللغة العربية يسقط سيبويه" للكاتب والصّحفي شريف الشوباشي محورا لدراستي، لأنّه من بين أهمّ الكتب الحديثة التي تدعو إلى تحفيز الضّمير العربي على إصلاح اللّغة العربيّة وكان له صدى واسع وأثار جدلا شاسعا إمّا على السّاحة الثّقافية أو على السّاحة اللّغوية بسبب

أفكاره التي أثارها واقتراحاته الإصلاحية فجاءت المذكرة موسومة بـ: "أراء شريف الشوباشي اللغوية والنحوية من خلال كتابه: لتحيا اللّغة العربية يسقط سيبويه".

وهناك عدّة أسباب دفعتني لاختيار هذا الموضوع وهي:
. السبب الذاتي:

- اهتمامي الكبير في البحث عن كلّ ما يخصّ اللّغة العربية وميلي الشّديد لكلّ تفاصيلها.
. السبب الموضوعي:

- ظهور صراعات بين اللّغويين المجدّدين الدّاعين لتغيير أسس اللّغة العربية وأحكامها وبين حماة التّراث الذين يرفضون أيّ تغيير، ما جعلني أرغب في معرفة أصل النّزاع وأسبابه.

أمّا الإشكالية التي يسعى البحث للإجابة عنها فهي: ما هي أهداف شريف الشوباشي من خلال تأليفه كتاب: "لتحيا اللّغة العربية يسقط سيبويه"؟
وقد تفرع عنها سؤال آخر هو:

- ما هي أسباب اقتصار استعمال اللّغة العربية في الندوات والخطابات الدولية والأخبار، واهمالها في الممارسات اليومية وبعض البرامج التّلفزيونية؟

فانطلقتُ من مجموعة من الفرضيات واتّخذتها كإجابة أولية عن هذه الإشكالية، وتتمثّل في:

- صعوبة المادّة اللّغوية النّحوية والصّرفية وكثرة أبوابها هو الذي جعل من اللّغة العربية الفصحى لا تمسّ الحياة اليومية للنّاس.

- شريف الشوباشي أراد إصلاح اللّغة العربية وجعلها تتناسب مع حاجيات الفرد اليومية

- هدف شريف الشوباشي هو تطوير اللّغة العربية وجعلها تواكب العصر.

أمّا الموضوع فاقضى أن يكون المنهج المعتمد في دراسته: منهجا وصفيا تحليليا، لأنّه يتبع الموضوع ويحيط بجميع جوانبه بغرض التّوصّل إلى معرفة دقيقة حول القضية المطروحة وكلّ ما يتعلّق بها.

ونتج عن هذا خطّة مكوّنة من مقدّمة وفصلين وخاتمة:

فالفصل الأوّل المعنون بـ"اللّغة العربية بين التّقييد والتّجديد" فهو نظري، تناولت فيه ماهية التّقييد

اللّغوي من حيث مفهومه وأسبابه ودوافعه والاحتجاج فيه ومصادره، وأهمّ العلماء الذين قاموا بوضع قواعد

العربية ثمّ تحدثت عن ظاهرة التّجديد اللّغوي، وأهمّ الدّاعيين للإصلاح والتّيسير، وفصّلت في ظاهرة الازدواج اللّغوي من حيث مفهومه وتعريف كلّ من الفصحى العاميّة وأسبابها، وخصائص كلّ منها.

أمّا الفصل الثّاني الذي عنوانته "تحليل قضايا كتاب (لتحيا اللغة العربية يسقط سيبويه) لشريف الشوباشي"، فقدّمت فيه نبذة عن شريف الشوباشي، ثمّ عرفت كتابه: لتحيا اللّغة العربية يسقط سيبويه، بعد ذلك تطرقت إلى تحليل القضايا التي أوردها الكاتب فيه، ومن هناك عرضت المواقف التي ظهرت إزاءه من مؤيدين ومعارضين.

أمّا الخاتمة فقد تطرقت فيها إلى النّتائج التي توصلت إليها في هذا البحث.

ومن الدّراسات السّابقة التي أعاننتني في إنجاز كل هذا: "كتاب دموع الشوباشي بين يدي سيبويه" للكاتب محمد محمد داود، وما يختلف فيه عن بحثي هو أنّ محمد داود أبدى رفضه التام لكل ما جاء به الشوباشي بينما دراستي اقتصرت على الموضوعية وبعيدة عن الأحكام الذاتية.

وفي مسيرة بحثي واجهت بعض الصّعوبات أهمّها:

- تدهور حالتي الصحية كثيرا ما جعلني أتوقّف لفترة طويلة عن عملية البحث.
- ندرة الدراسات المتطرفة إلى دراسة كتاب "لتحيا اللغة العربية يسقط سيبويه" وخاصّة في مسألة المؤيدين والمعارضين.

ختاماً أحمد الله وأشكره على توفيقه في إنجاز مذكرتي، ومدّني بالصّبر والعزيمة لإتمامها، وأقدّم جزيل شكري لأستاذتي المشرفة الكريمة التي تعبت معي لإنجازها والتي أولتني جلاً اهتمامها ولم تبخل عليّ بالمعلومة أبداً وما قدّمته لي من توجيه وتقييم وتقويم وتحفيز جزاها الله خيراً، كما أشكر أعضاء لجنة المناقشة الأكارم لتفضلهم عليّ بقبول مناقشة هذه المذكرة للإيانة عن مواطن القصور فيها وسدّ خللها والذين ساعتمد بكلّ تأكيد على ملاحظاتهم لأصوّب عملي إن شاء الله.

فايزة حمادي، تيزي وزو، اعكوران.

28 سبتمبر 2022

الفصل الأول: اللغة العربية بين التّقييد والتّجديد

1- التّقييد اللّغوي:

- 1-1- مفهوم التّقييد اللّغوي
- 1-2- أسباب التّقييد اللّغوي
- 1-3- دوافع التّقييد اللّغوي

2- الاحتجاج في التّقييد اللّغوي:

- 2-1- تعريف الاحتجاج
- 2-2- مصادر الاحتجاج في التّقييد اللّغوي

3- أشهر علماء اللغة العربية:

4- تجديد القواعد العربيّة وتيسيرها:

- 4-1- محاولات القدامى التّيسيرية
- 4-2- ثورة ابن مضاء القرطبي
- 4-3- محاولات المجدّدين التّيسيرية

5- أسباب ودواعي التّجديد والتّيسير اللّغوي:

- 5-1- أسباب ودواعي التّجديد اللّغوي في القديم
- 5-2- أسباب ودواعي التّجديد اللّغوي في العصر الحديث

6- الازدواج اللّغوي بين اللغة العربية الفصحى والعربية العاميّة:

- 6-1- تعريف اللّغة
- 6-2- اللّغة العربية الفصحى
- 6-3- العربية العامية
- 6-4- الازدواج اللّغوي

1- التّقييد اللّغوي:

بعد الفتوحات الإسلاميّة الواسعة، والاختلاط بالعجم، راود العرب خوف من فساد لغتهم العربيّة ومن أن يمسّ اللّحن القرآن الكريم، لذا اجتهد وبرع علماء هذه اللّغة في دراستها والنّظر في مختلف جوانبها، والعمل على تقييدها، أين توصّلوا إلى استنباط عدد هائل من القواعد والقوانين التي ميّزتها عن غيرها من الكلام العادي.

1-1- مفهوم التّقييد اللّغوي:

- أ- من الناحية اللّغوية: هناك عدّة دلالات لغويّة يحملها مصطلح "التّقييد اللّغوي"، أهمّها:
- يقصد بالتّقييد حسب قول ابن فارس (ت395هـ) أنّ: "القاف والعين والدّال أصل مطّرد منقاس لا يخلف، وهو يضاوي الجلوس، وإن كان يُتكلّم في مواضع لا يُتكلّم فيها بالجلوس"¹. فيقصد بهذا المصطلح من منظور ابن فارس الاستقرار والثّبات على نفس الموضوع أو الهيئة.
 - قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ...﴾ [البقرة: 127]؛ أي قواعد البيت وإسّاسه². بمعنى أساطين البيت وأعمدته التي تجعله ثابتاً.
 - ويقال أيضاً: "قعد بنو فلان لبني فلان يقعدون: أطاقوهم وجاءوهم بأعدادهم"³؛ أي قعد للحرب وهياً لها أقرانها.

إنّ كلّ هذه التّعريفات المقدّمة لمصطلح "التّقييد اللّغوي" من الناحية اللّغويّة تدور حول حقل مفهومي واحد شامل ألا وهو استقرار الشّيء على نفس الصّورة وثباته عليها.

- ب- من الناحية الإصطلاحية: لقد تنوّعت وتعدّدت التّعريفات التي وضعت لضبط مفهوم "التّقييد"، ومن أبرز هذه التّعريفات يذكر:

- "يعتبر التّقييد عمليّة إجرائيّة ذهنيّة من عمل الباحث، أساسها وصف العلاقات المتشابهة في قانون هو المقصد الذي ينتهي إليه التّقييد وغايته وهي القاعدة"⁴. فالتّقييد اللّغوي عمليّة عقليّة

¹- يعقوب ابن عبد الوهاب الباحسين، المفصل في القواعد الفقهيّة، ط2. الرّياض: 2011، ص23.

²- جمال الدّين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي بن أحمد ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، ط1. القاهرة: د.ت، دار المعارف، مادة (ق ع د)، ص3689، بتصرف.

³- المرجع نفسه، ص3688.

⁴- محمد حماسة عبد اللّطيف، لغة الشّعْر: دراسة في الصّرورة الشّعريّة، د.ط. القاهرة: 2006، دار غريب للنّشر، ص101.

يقوم بها الباحث بغية وضع قانون يشمل داخله جميع الظواهر والعلاقات اللّغويّة المتشابهة أو المتطابقة.

- يعرفه عبد القادر المهيري (ت2016م): "الضوابط التي يستنبطها التّحوي من استعمالات النّاس للّغتهم، بحصر الثّوابت فيها وعضّ الطّرف عمّا هو عرضي ظرفي ليس ضامنا للتّبليغ في كلّ الحالات، ومن هنا كان التّقييد رهين الاستعمال صادرا عنه موفرا لأسباب الكلام ومقاييسه، ممّا للمتكلّم من دليل يقنّدي به ومرجع يحتكم إليه ونموذج منظر يقيس عليه عن وعي أو عن غير وعي¹"، أي أنّ التّقييد اللّغوي هو مجموعة ضوابط تمّ استقرائها من خلال كلام العرب المتداول فيتمّ القياس به على ما يشبهه من الكلام.
- "التّقييد هو عمليّة وضع القواعد، أي باستخراجها واستخلاصها من الظواهر اللّغويّة، وجعلها أحكاما كليّة تنطبق على أفراد مجموعة الظواهر المتحدّة أو المتماثلة²". ويقصد به التّمعّن في الظواهر اللّغويّة واستخلاص مجموعة من أحكام تكون كليّة وتطبيقاتها على الظواهر الأخرى المشابهة.
- ونجد سعيد الأفغاني (ت1997م) يعرف القواعد في قوله: "ليست القواعد إلّا قوانين مستنبطة من طائفة من كلام العرب الذين لم تفسد سلائقهم³"، والأفغاني هنا يحدّد مفهوم القواعد على أنّها القوانين التي يتمّ استخراجها من كلام العرب الفصيح.

1-2- أسباب التّقييد اللّغوي:

لم تكن القواعد اللّغويّة معروفة في العصر الجاهلي ولا في صدر الإسلام وما ذاك إلّا لعدم الحاجة إليها، فقد كان العرب آنذاك يتكلّمون اللّغة العربيّة الفصحى بطلاقة وسليقة، ولكن عندما انتشرت الفتوحات الإسلاميّة، واختلاط العجم بالمسلمين العرب ودخول الكثير منهم في الإسلام، برزت الحاجة لعلمي النّحو والصّرف نظرا لأهمّيتهما بالنّسبة لهؤلاء خاصّة، وكان أهمّ سبب في ظهورها هو آفة اللّحن التي اعتبرت تهديدا للّغة العربيّة وبوجه الخصوص القرآن الكريم، وهذا ما سيتمّ تلخيصه فيما يلي:

- **ظهور اللّحن:** كان العرب قبل الإسلام من أكثر الأمم فصاحة وبلاغة، ولغتهم العربيّة نقيّة سليمة، ولم تعرف خارج حدود الجزيرة العربيّة. لكن بعد ظهور الإسلام طرأ تغيير كبير على

¹ - عبد القادر المهيري، نظرات في التّراث اللّغوي العربي، ط1. بيروت: 1993، دار غريب الإسلامي، ص131.

² - كمال بشر، اللّغة العربيّة بين الوهم وسوء الفهم، د.ط. القاهرة: 1999، دار غريب، ص155.

³ - سعيد بن محمد بن أحمد الأفغاني، الموجز في قواعد اللّغة العربيّة، د.ط. بيروت: 2003، دار الفكر، ص5.

حياتهم، فقد ساهم في انتشار لغة الجزيرة واتّساع رقعة الدّولة، واختلط العرب الفاتحين بالشّعوب الأخرى فدخل الكثير من هؤلاء في الإسلام، واضطروا إلى تعلّم العربيّة فحدث أخذ وعطاء بينهم، ما نتج عن ذلك من تسرّب الفساد إلى هذه اللّغة، وبدأ يُسمع اللّحن أثناء التّخاطب، في البداية كان قليلاً، ولكنّه أخذ ينتشر حتّى انتبه إليه المسؤولين وأهل العلم، وأوّل لحن سُمع كان بحضور الرسول صلّى الله عليه وسلّم حين قال رجل: "أرشدوا أخاكم فإنّه قد ظلّ...¹". وهناك العديد من حوادث اللّحن عُرفت في عهد عمر رضي الله عنه (ت23هـ)، أهمّها²:

- مرّ عمر على قوم يسيئون الرّمي فقرعهم فقالوا: "إنا قوم متعلّمين" فأعرض مغضباً وقال: "والله لخطوكم في لسانكم أشدّ على من خطنكم في رميكم".
- قدم أعرابي في خلافة عمر فقال "من يقرأني شيئاً ممّا أنزل على محمّد؟" فأقرأه رجل سورة براءة بهذا اللّحن: "وأذان من الله ورسوله إلى النّاس يوم الحجّ الأكبر أنّ الله بريء من المشركين ورسوله..." [التّوبة:03]، فقال الأعرابي: "إن يكن الله بريء من رسوله فأنا أبرئ منه". فبلغ عمر مقالة الأعرابي فدعاه فقال: "يا أمير المؤمنين، إنّي قدمت المدينة..." وقصّ القصّة، فقال عمر: "ليس هكذا يا أعرابي"، فقال: "...إنّ الله بريء من المشركين ورسوله..."، فقال الأعرابي: "وأنا أبرأ ممّن برئ الله ورسوله منهم". فأمر عمر ألاّ يقرأ القرآن إلّا عالم اللّغة.
- وتكاد قصّة بنت الأسود الدّوّلي (ت69هـ) تكون المعلم المشهور في تاريخ النّحو: فقد دخل عليها أبوها في وقدة الحرّ بالبصرة فقالت له: "يا أبت ما أشدّ الحرّ!" رفعت (أشدّ) فظنّها تسألّه وتستفهم منه: أي زمان الحرّ أشدّ؟ فقال لها: "شهرنا ناجر" فقالت: "يا أبت إنّما أخبرتك ولم أسألك".

وكانت هذه أهمّ الأخطاء التي مسّت كلام العرب بشكل عام وكلام الله المقدّس بشكل خاص، فلجأ العلماء لوضع ضوابط وقواعد تعصم الألسنة من الخطأ وتقي اللّغة من اللّحن وبالتالي يُصان الدّكر الحكيم من التّحريف.

¹ - سعيد الأفغاني، تاريخ النّحو، د.ط. بيروت: د.ت، دار الفكر، ص7، بتصرف.

² - المرجع نفسه، ص9-10.

1-3- دوافع التّقييد اللّغوي:

أ- دافع ديني: لقد كفل الله تعالى النّاس حفظ القرآن من التّحريف بقوله سبحانه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: 09]، وقد عمل المسلمون على الحفاظ على سلامته وخاصّة بعد شيوع اللّحن على الألسنة نتيجة الفتوحات الإسلاميّة واختلاط العرب بالعجم¹. وسيطر الخوف لديهم على الكتاب المقدّس من أن يمسه التّحريف²، لذا كان لا بدّ عليهم من الحرص على سلامته وصحّته.

ب- دافع قومي: إنّ لغة العرب لغة سليمة وفصيحة لا خلل فيها، لذا كانوا يفتخرون ويعتزون بها، فتولّد لديهم خوف من فسادها بعد الاختلاط الحاصل بينهم -العرب- وبين غيرهم من الأجناس، إثر الفتوحات الإسلاميّة³. كما حرصوا على رسم أوضاعها خوفاً عليها من الفناء والدّويان في اللّغات الأعجميّة.

ت- دافع اجتماعي: لم تستطع الشّعوب المستعربة من الاندماج مع المجتمع العربي، وخلق مكانة لنفسها داخل الدّولة العربيّة، لذا كانت في حاجة لمن يرسم لها أوضاع العربيّة، إمّا من حيث إعرابها أو من حيث تصريفها حتّى تتمثّلها تمثّلاً سليماً، ويكون نطقها لأساليبها صحيحاً⁴؛ وهذا ما يجعل تعلمها مهمة سهلة بالنسبة لهم.

2- الاحتجاج في التّقييد اللّغوي:

لبناء أيّ قاعدة لغويّة قام اللّغويون بالاستناد إلى عدّة مصادر تثبت صحّتها، ومدى صدقها وقابليتها للتّطبيق، وتدعيمها بأمثلة موضّحة ومفسّرة لها، وهي التي تعرف بمصادر الاحتجاج.

2-1- تعريف الاحتجاج:

أ- من الناحية اللّغوية:

• يقال: حجج: الحجّ. القصد. حجّ إلينا فلان أي قدّم، وحجّه يحجّه حجّاً: قصّده، وحجّبت فلانا واعتمدته أي قصدته ورَجُلٌ مَحْجُوجٌ أي مَقْصُودٌ... يقال: حاججته أحاجّه حجاجاً ومحاجة حتّى

¹ - خضر موسى محمد، النّحو والنّحاة، ط1. بيروت: 2003م، عالم الكتب، ص10، بتصرف.

² - تمام حسان، الأصول: دراسة استيمولوجية للفكر اللّغوي عند العرب النّحو-فقه-اللّغة-البلاغة، د.ط. القاهرة: 2000، عالم الكتب، ص22.

³ - خضر موسى محمّد، المرجع السّابق، ص11، بتصرف.

⁴ - شوقي ضيف، المدارس النّحويّة، ص12.

حَجَّتهُ أي غلبته بالحجج أي أدلّيتُ بها... والحجّة: البرهان... وجمع الحجّة: حُجَجٌ وحِجَاجٌ، وحاجّةٌ محاجةٌ وحِجَاجًا: نازعةُ الحجّة. وحَجَّه يَحُجُّه حِجًّا: غلبه على حُجَّتِه... واحتجّ بالشّيء اتَّخَذَه حُجَّةً¹.

• وعبد الرّؤوف بن المناوي (ت1031هـ) يعرف الحجّة: "قال الحرالي: الحجّة كلام ينشأ عند مقدّمات يقينيّة مركّبة تركيباً صحيحاً"².

• يقال حاجبتُ فلانا فَحَجَّتهُ أي غلبته بالحجّة، وذلك الطّفُر يكون عند الخصومة، والجمع حُجَجٌ والمصدر الحِجَاج³.

• وفي التّعريفات للجرجاني: "الحجّة ما دلّ على صحّة الدّعوى وقيل الحجّة والدليل واحد"⁴.

كلّ هذه الدلالات اللّغويّة تدلّ على أنّ معنى الاحتجاج هو إثبات صحّة المسألة المقترحة أو الإقرار على صحّة الفكرة التي في صدد الدّفاع عنها.

ب- من الناحية الاصطلاحية:

• "هو توجيه القراءة وتعليلها بإعرابها وبيان سندها في اللّغة ما قد يترتّب عن ذلك من اختلال المعنى والتّوفيق بين القراءات والتّرجيح بينها والموافقة لشروط القراءة الصّحيحة أو مخالفتها لتوثيق النّص القرآني وإحاطته بسياج علمي لغويّ إلى جانب بيان الرّواية والسند"⁵.

• يقول سعيد الأفغاني: "يُراد بالاحتجاج هنا إثبات صحّة قاعدة أو استعمال كلمة أو ترتيب بديل نقلي صح سنده إلى عربي فصيح سليم السّليقة"⁶.

¹- ابن منظور، لسان العرب، مادة (حجج)، تح: عبد الله علي الكبير، محمّد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، د.ط. القاهرة: 1119م، دار المعارف، ص 778-779.

²- عبد الرّؤوف بن المناوي، التّوفيق عن مهمّات التّعريف، تح: عبد الحميد صالح حمدان، ط1. القاهرة: 1990م، عالم الكتب، ص136.

³- الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللّغة، تح: عبد السّلام محمّد هارون، د.ط. القاهرة: 1979، دار الفكر، ج2، ص30.

⁴- محمد شريف الجرجاني، كتاب التّعريفات، د.ط. بيروت: 1985م، مكتبة لبنان، ص86.

⁵- إبراهيم عبد الله رفيده، النّحو وكتب التّفسير. د.ط. طرابلس: 1990، دار الجماهيرية، ج1، ص493.

⁶- سعيد الأفغاني، في أصول النّحو، د.ط. حلب: 1994م، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعيّة، ص06.

- أمّا الدّكتور محمّد خير الحلواني (ت1987م) فيرى أنّ الاحتجاج: "عبارة عن مجموعة من الأعمال تبدأ بالتأمّلات وتنتهي بالكشف عن القواعد"¹.
- بينما يعرّفه السيوطي (ت911هـ): "الاحتجاج ما ثبت في كلام من يوثق بفصاحته فشمّل كلام الله وهو القرآن الكريم والحديث النبوي وكلام العرب قبل بعثته وبعده على أن فسدت الألسنة بكثرة المولودين نظماً فهذه الأنواع لا بدّ فيها الثبوت"².

كلّ هذه التعاريف تدلّ على أنّ الاحتجاج هو الاستشهاد والبرهان بمجموعة من المصادر لإثبات صحّة القاعدة اللغويّة المطروحة، ويستخدم غالباً في المواقف التي تتطلّب المغالبة والجدل بقصد التّفوق.

2-2- مصادر الاحتجاج:

ظهر النّحو العربي فظهرت معه أصوله وبراهينه ومصادره التي تُستنبط منها قواعده، وهذه الأصول تتمثّل في كلّ من كلام العرب شعره ونثره، القرآن الكريم، القراءات القرآنيّة، والحديث النبوي الشريف.

أ- كلام العرب: "هو من أهمّ الميادين التي اتّخذها النّحاة للاحتجاج، وقد جعلوه مقدماً عن غيره من الأدلّة لأتّه الميدان الأمثل لاستنباط قواعد اللّغة من خلاله"³. وقد اعتمد النّحويون في احتجاجهم على كلام العرب ونثره وشعره اعتماداً أساسياً في استنباط الأحكام النّحويّة والاحتجاج لها، وهذا ما يوضّحه السيوطي "وأما كلام العرب فيحتجّ به بما ثبت عند الفصحاء الموثوق بعربيّتهم"⁴. ويقول المازني (ت1949م): "ألا ترى أنّك لم تسمع أنت ولا غيرك اسم كلّ فاعل أو مفعول، وإنّما سمعت البعض فقسّت عليه غيره، فإن سمعت (قام زيداً) أجزت (ظرف بشراً)، و(تحرم خالدٌ)⁵. وصرّح ابن جنّي: "وكذلك تقول في مثال (صمّح) من (الصّرب) (ضرب) ومن (القتل) (قتلت) ومن (الشّرب) (شرب) ومن (الخروج) (خرج) وهو من العربيّة بلا شكّ، وإن لم تنطق العرب بواحد من هذه الحروف"⁶؛ أي أنّ كلّ كلمة كان يقاس عليها، والكلمات المتحصّلة عليها

¹ - محمد خير الحلواني، أصول النّحو العربي، ط2. الرباط: 1983م، مطبعة إفريقيا الشّرق، ص15.

² - جلال الدين السيوطي، الاقتراح في أصول النّحو، تح: محمد حسن محمد اسماعيل الشافعي، د.ط. بيروت: د.ت، دار الكتب العلميّة، ص14.

³ - علي مزهري الياسري، الفكر النّحوي عند العرب أصوله ومناهجه، د.ط. بيروت: 2003م، الدار العربيّة للموسوعات، ص190.

⁴ - جلال الدين السيوطي، الاقتراح في أصول النّحو، تح: عبد الحكيم عطية، ط2. دمشق، 2004م، دار البيروتية، ص47.

⁵ - المرجع نفسه، ص92.

⁶ - المرجع نفسه.

بعد القياس هي كلمات عربية حتى وإن لم تكن متواترة على ألسنة العرب وإن قيل؛ "فقد منع الخليل لما أنشد: ترفع العز بنا فارتفعنا".

قياسا على قول العجاج [ديوانه: 138]: تقاعس العز بنا فاقعئسنا

فدلّ على امتناع القياس في مثل هذه الأبنية¹.

ويمثّل هذا المصدر الاحتجاجي "الأعم الأوسع الذي لا يكاد يحدّ، وقد كان لذلك موضع دراسات كثيرة من حيث الاحتجاج به في اللغة²"، أمّا العرب الأكثر فصاحة فهم أهل قريش، إذ كانوا مع فصاحتهم وحسن لغتهم ورقة ألسنتهم عندما يأتيهم وفود من العرب قاموا بانتقاء كلامهم وأشعارهم واختاروا أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم فيضيفون ما تخيروه إلى نحائزهم وسلاتقهم التي طبعوا عليها³، فلسان قريش كان أفصح الألسنة العربية.

ومن أفصح القبائل المعروفة يذكر: سعد بن بكر، وحتم بن بكر، ونصر بن معاوية، وثقيف⁴، وقد اشتهرت هذه بلغتهم الفصيحة التي تم الاعتماد عليها في التقعيد اللغوي.

- **النثر:** هو "كلام قويّ اللفظ متين التركيب سطحي الفكرة، ينزع نزعة الإيجاز في الجملة والأسلوب ويرسل مقطعا لا يربط بين أفكاره رابط ويستعمل لأغراض مختلفة⁵". وقد اعتمده النحاة أثناء دراستهم للغة العربية وبنائهم لأحكامها وقواعدها ومن النادر أن يستقلّ كلام العرب نثرا بالاستدلال والغالب أن يجتمع مع غيره من الأدلة⁶. وهناك نوعان من الشواهد النثرية هي⁷:
 - الأول: ما جاء في شكل إمّا خطبة، أو وصية، أو مثل، أو حكمة، أو نادرة، وهذا يعدّ من آداب العرب الهامة، وهذا النوع أيضا يسمّى بالنثر الفني.
 - الثاني: ما نقل عن بعض الأعراب ويستشهد بكلامهم في حديثهم العادي الذي ليس من الضروري أن يخضع للتأنيق والذبوع مثل النوع الأول.

¹- جلال الدين السيوطي، الإقتراح في أصول النحو، ص92.

²- محمد حسن حسن جيل، الاحتجاج بالشعر في اللغة الواقع ودلالاته، ط1. القاهرة: 1977، دار الفكر العربي، ص75.

³- المرجع نفسه، ص76، بتصرف.

⁴- المرجع نفسه، بتصرف.

⁵- حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، د.ط. بيروت: د.ت، دار اليوسف، ص200-201.

⁶- عفاف حسنين، في أدلة النحو، ص128.

⁷- مختار أحمد عمر، البحث اللغوي عند العرب، ط6. القاهرة: 1988م، عالم الكتب، ص19.

لقد وضع اللّغويون زمانا ومكانا محدّدين لهذا المصدر، "فقد حدّدوا نهاية الفترة التي يستشهد به في آخر القرن الثّاني الهجري بالنّسبة لعرب الأمصار، وآخر القرن الرّابع بالنّسبة لعرب البادية، أمّا المكان فمرتبط بالبادوة والحضارة فكأما كانت القبيلة بدويّة أو أقرب إلى البدو كانت لغتها أفصح والثّقّة فيها أكثر، في حين إن كانت متحضّرة وأقرب إلى حياة المدينة والحضارة، كانت محلّ شك¹". فاللغة الريفية كانت أفصح مقارنة بلغة المدينة.

وأكثر نوع نثري حظي باهتمام زائد من طرف العلماء منذ زمن عباس العبدوي هو الأمثال "التي حرص اللّغويون والنّحويون على جمعها كونها نصوصا عربيّة فصيحة تداولها العرب الفصحاء لذا فهي صالحة للاستخدام في اللّغة كشواهد نحويّة"²، فقاموا بتوظيفها في تأليفهم وشروحهم.

ومن أمثلة ممّا استنبطه النّحاة من هذا المصدر³:

- دلّ الاستقراء على أنّ "من" تكون لابتداء الغاية في المكان، تقول: سرت إلى الجامعة. ولكن أبا الحسن الأخفش يجيز أيضا أن تقع لابتداء الغاية في الزّمان: "لأنّ العرب من يقول: لم أراه منذ يوم كذا، يريد: من".

- سنّ الفراء أصلا كتب له الرسوخ في قواعد اللّغة العربيّة، هو أن يكون "غدوة" علما على الوقت المعلوم في اليوم ولذلك عومل معاملة الممنوع من الصّرف، ولم يكن في يدي الفراء لاستنباط هذا الأصل غير ما سمعه من أبي الجراح العقبلي، وهو قوله: "ما رأيت كغدوة قط".

لم يبلغ النّثر الدّروة مقارنة بالشّعْر رغم الأهميّة التي يحظى بها من حيث أنّه يلي متطلّبات الحياة من الكتابة الفنيّة، من الرّسائل والحوارات والأعمال في شتى المجالات، يقول الجاحظ (ت255هـ): "وقد نقلت كتب الهند، وترجمت الحكم اليونانيّة، وحوّلت آداب الفرس، فبعضها ازداد ما انتقض شيئا؛ ولو حوّلت حكمة العرب لم يجدوا في معانيها شيئا لم يذكره العجم في كتبهم التي وضعت لمعاشهم وحكمهم ولبطل ذلك المعجز؛ وقد نقلت هذه الكتب من أمة إلى أمة، ومن قرن إلى قرن، ومن لسان إلى لسان، حتّى انتهت إلينا وكثا آخر من ورثها ونظر فيها، فقد صحّ أنّ الكتب أبلغ في تقييد المآثر من الشّعْر"⁴.

¹ - مختار أحمد عمر، البحث اللغوي عند العرب، ص19، بتصرف.

² - عبد المجيد قطامش، الأمثال العربيّة، دراسة تاريخيّة تحليليّة، ط1. دمشق، 1988م، دار الفكر، ص125.

³ - محمد خير الحلواني: أصول النّحو العربي، ص46-47.

⁴ - عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، تح: عبد السلام هارون، ط2. القاهرة: 1965م، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ص75.

• **الشعر:** هو كلام العرب الموزون المقفى، يستشهد به ويحتجّ به وهو محدّد زماناً ومكاناً. وقد احتلّ أعلى مراتب الاحتجاج في كلام العرب مقارنة بالنثر، وله مكانة رفيعة عند العرب، فحسب هلال العسكري يعتبره: "ديوان العرب، ومستنبت آدابها ومستودع علومها"¹ وذلك بسبب أنّه سهل الحفظ وترسيخه في العقل وتذكّره، قال الجاحظ: "فإنّ حفظ الشّعر أهون على النّفس، وإذا حفظ كان أعلق وأثبت، وكان شاهداً، وإنّ أحتجّ إلى ضرب المثل كان مثلاً"² فالشعر يسير مقارنة بغيره من الكلام.

أمّا الشّعراء فقد قسموا إلى أربع طبقات تتمثّل في: "جاهليين، ومخضرمين، وإسلاميين، ومولدين على قصر الاحتجاج على شعراء الطبقات الأولى الثلاث بحيث ينقضي عصره بوفاة آخر شعراء الطبقة الثالثة"³. وكان أساس تقسيم الشّعراء إلى جاهليين وإسلاميين هو "ظهور الدّين الحنيف وما صاحبه من تغيّر جذري في حياة العرب والعلاقات بكلّ مستوياتها"⁴. كما تغيّر تقويمها عمّا كان في الجاهليّة وتناول ذلك تغيّر اللّغة والشّعر⁵. أمّا بالنسبة لطبقة المخضرمين فسبب تحديدها هو وجود شعراء عاشوا في حقبتين مختلفتين أين أدركوا الجاهلية والإسلام معاً، ووصف أبو عمرو بن العلاء (ت154هـ) شعر هذه الطبقة بأنّه مولد ومحدث لا يحتجّ به فقال: "لقد كثر هذا المحدث وحسن حتى لقد هممت أنّ أمر فتياننا بروايته، وفيما يخصّ الطبقة الرابعة فرجع الأمر فيها إلى موقف اللّغويين من الاحتجاج بشعر تلك الطبقات"⁶.

وبالتّالي يمثّل الشّعر أكثر مصادر الاحتجاج اعتماداً في التّقييد، وإبراهيم أنيس (ت1977م) يبيّر ذلك في قوله بأنّ: "زاوية الشّعر أدقّ من رواية النثر، وأنّ تذكّر المنظوم أيسر من تذكّر المنثور وأنّ احتمال التّغيير والتّبديل في الشّعر أقلّ من احتمالته في المروى من النثر"⁷. وهو هنا يشير إلى مدى سهولة الشعر مقارنة بالنثر.

¹ - أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، الصنّاعية، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط1. القاهرة: 1952م، دار إحياء الكتب العربية، ص143-144.

² - أبو عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، ص464.

³ - محمد حسين حسن جبل، الاحتجاج بالشّعر في اللّغة الواقع ودلالاته، ص78.

⁴ - المرجع نفسه.

⁵ - المرجع نفسه.

⁶ - المرجع نفسه، ص79، بتصرف.

⁷ - عفاف حسانين، في أدلّة النحو، ص86.

بعد كلّ ما طُرِق إليه، يتّضح أنّ كلام العرب قسمان نثر وشعر، والشّعر سيطر على المرتبة الأولى من حيث الاحتجاج به، أمّا النثر فإتّه اعتمد عليه في القليل النادر، رغم أنّ النثر أوسع من الشّعر من حيث قدرته على احتواء معاني حياة النّاس الأدبيّة والعلميّة والعمليّة، والرّوحية والماديّة والخاصّة والعامة وغيرها. ولكن يجمع هذان النوعين شرطاً أولاً وهو عدم الاستشهاد بشعر أو نثر مجهول القائل خوفاً من أن يكون مصنوعاً. وهو أول الأعمدة التي اعتمد عليها النّحاة في تقريرهم للأحكام

ب- القرآن الكريم: هو كلام الله الذي لا باطل فيه، ويعتبر مصدر من مصادر الاستشهاد والاحتجاج في اللغة العربيّة كونه منزل في لغة العرب الفصحى لا بلغة العجم لقوله سبحانه وتعالى: ﴿تَأَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: 02]، وقوله أيضاً: ﴿بَلِسَانَ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشّعراء: 195]. ويحتلّ القرآن أعلى مراتب مصادر الاحتجاج في العربيّة؛ إذ يمثّل أبلغ تعبير وأفصح لغة، يقول البغدادي (ت 463هـ): "كلامه عزّ اسمه أفصح كلام وأبلغه ويجوز الاستشهاد بمتواتره وشأده"¹. كما أنّ العرب ينظرون إلى القرآن الكريم وإلى أسلوبه نظرة أسمى حتّى من آثارهم الأدبيّة الأخرى، وذلك لأنّهم تحدّاهم وأعجزهم ولم يستطيعوا أن يأتوا بمثله². وقد أجمع اللّغويون كافّة على أنّه حجّة وكلّ ما ورد فيه جاز الاحتجاج به، على قول السيوطي في هذا الصّدّد: "أمّا القرآن فكلّ ما ورد أنّه قرئ به جاز الاحتجاج به في العربيّة سواء كان متواتراً أم آحاداً أم شاذّاً"³. وفي نفس الفكرة دائماً يصرّح: "لم يتوفّر لنص ما توفّر للقرآن الكريم من تواتر رواياته، وعناية العلماء بضبطها وتحريها متناً وسندا وتدوينها وربطها بالمشافهة على أفواه العلماء الأثبات الفصحاء الأنبياء من التّابعين عن الصّحابة عن الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، فهو النصّ العربي الصّحيح المتواتر المجمع على تلاوته بالطّرق التي وصل إلينا بها في الأداء والحركات والسكّات ولم تعتن أمة بنصّ ما اعتنى المسلمون بنصّ قرآنهم"⁴. وبالتالي القرآن هو الأصل والباقي للتواتر، إذ أُحيط بعناية فائقة ونقل صحيح، ومنه كان المصدر الأوّل للدراسة النّحويّة فهم لا يختلفون في تأصيل قواعد النّحو على أساس منه ولا يختلفون في الاستشهاد به، فيقول ابن خلوّيه (ت 370هـ): "قد

¹ - عبد القادر عمر البغدادي، خزائن الأدب ولب لسان العرب، تح: عبد السلام هارون، د.ط. القاهرة: 1997م، مكتبة الخانجي، ج1، ص9.

² - رمضان عبد التّواب، فصول في فقه العربيّة، ط6. القاهرة: 1999م، مكتبة الخارجي، ص81، بتصرف.

³ - الإمام جلال الدّين السيوطي، الاقتراح في أصول النّحو، ص39.

⁴ - سعيد الأفغاني، في أصول النّحو، ص28.

أجمع النّاس جميعاً أنّ اللّغة إذا وردت في القرآن فهي أفصح ممّا في غير القرآن لا خلاف في ذلك¹. بمعنى أن لغة القرآن هي التي تتربع على عرش الفصاحة ولا إشكال في هذا ومن أهمّ من احتجّ بالقرآن الكريم وبنوا قواعدهم على النّصوص القرآنيّة هناك البصريين الذين ساهموا بشكل كبير في إقامة النّحو العربي أمثال سيبويه الذي كانت له بصمة قي ذلك وهذا ما يتّضح من خلال كتابه "الكتاب"، كما هناك الكوفيون ومن أبرزهم الفراء (ت207هـ) الذي اعتنى عناية خاصّة بهذا الكتاب المقدّس وخدم نصوصه تفسيراً ولغة وقراءات، ما يتجلّى بشكل واضح في مؤلّفاته أشهرها "كتاب المعاني" و"كتاب الجمع والتّثنية"، ويقول: "غير أنّي لا أشتهي مخالفة الكتاب"² فهو يستند آراءه إلى كلّ آية ولا يخالفها في شيء.

ويوجد أيضاً النّحاة المتأخرون عن العصر الأوّل الذين كانوا كثيري الاستشهاد بالقرآن أمثال: "استشهد ابن الأنباري من القرآن في كتابه "المذكّر والمؤنّث" بسبعة ومائتي شاهد، واستشهد ابن درستويه (ت947هـ) في كتابه "تصحيح الفصيح" بخمسة وأربعين ومائتي شاهد، واستشهد ابن دريد (ت933هـ) في كتابه "الاشتقاق" بتسعة وخمسين ومائة شاهد أمّا أصحاب المعاني فقد ردّوا معاجمهم بأفصح كلام العرب وأقدسه فقد بلغت عند ابن فارس في "مجلد اللّغة" ستة وثمانين ومائة شاهد³، وهكذا ظهر النّحو القرآني الذي يبنى عليه النّحو العربي وبات المصدر الأوّل في النّحو، لقول محمد خير الحلواني: "...يحتجّون بلغة القرآن الكريم، ويستنبطون منها ما فات أسلافهم من قواعد، أو يصحّحون ما سبقوا إليه من أصول، حتّى بات النّحو القرآني أغزر المصادر في هذا العلم"⁴، فهو هنا يرى أنّ كلّ ما تمّ استنباطه من القرآن الكريم هو الذي يحتلّ الصّدارة في الاحتجاج.

بالرّغم من إجماع النّحاة جميعاً على أنّ القرآن الكريم المصدر الأساس ولكلّ القواعد اللّغوية، إلّا أنّهم لم يسيروا على نفس المنهج في مسألة القراءات القرآنيّة، فمنهم من رفض بعضها وقبل البعض الآخر، ومنهم من جعل قراءات القرآن كلّها حجّة، ومنهم من اعتبرها كلّها شاذّة.

¹ - أبو زكريا الفراء، معاني القرآن، تح: أحمد يوسف نجاتي، محمّد علي النّجار، عبد الفتاح إسماعيل سيلبي، علي نجدي ناصف، د.ط. القاهرة: د.ت، دار السّرور، ج1، ص14.

² - المختار أحمد ديرة، دراسة في النّحو الكوفي، ط1. بيروت: 1991، دار قتيبة، ص172.

³ - محمد حسين آل ياسين، الدّراسة اللّغوية عند العرب، ط1. بيروت: 1989م، منشورات مكتبة الحياة، ص354.

⁴ - محمد خير الحلواني، أصول النّحو العربي، ص35.

ولم يتصادم العلماء في تعريفهم لهذه القراءات حيث هناك مختار عمر (ت1350هـ) الذي يعرفها: "الوجوه المختلفة التي سمح النبي بقراءة نص المصحف بها قصد التيسير، والتي جاءت وفقا للهجة من لهجات العربية"¹، أي أنها محددة من طرف محمد صلى الله عليه وسلم وفق لسان كل قوم.

ويوجد أيضا الزركشي (794هـ) يقول: "القراءات اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في الحروف وكيفيتها من تخفيف وتجديد وغيرها"²، ومن هنا فالقراءات لم تكن مبتدعة ولا مبتكرة وإنما رواها الصحابة رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم، يقول ابن خلدون (808هـ): "إن الصحابة روه عن الرسول صلى الله عليه وسلم على طرق مختلفة في بعض ألفاظه وكيفيات الحروف في أدائها"³. وقد ذكر الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام (ت224هـ) في أول كتابه في القراءات من نقل عنهم شيئا من وجوه القراءة من الصحابة وغيرهم. فذكر من الصحابة: أبا بكر وعمر، وعثمان وعليّ، وطلحة، وسعد، وابن مسعود، وحذيفة، وسالما، وأبا هريرة، وابن عمر، وابن عباس، وعمرو بن العاص، وابنه عبد الله بن السائب، وعائشة، وحفصة، وأم سلمة، وهؤلاء كلهم من المهاجرين وذكر من الأنصار: أبي كعب ومعاذ بن حيل، وأبا الدرداء، وزيد بن ثابت، وأبا زيد، ومحمد بن جارية، وأنس بن مالك رضي الله عنهم أجمعين، وكل هؤلاء كانوا في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم، ولما توفي قام بالأمر بعده أحق الناس به أبو بكر الصديق رضي الله عنه"⁴.

وقد تباين موقف النّحاة إزاء هذه القراءات وحول طبيعة استقرائها، وهذا كان نتيجة الخلافات الموجودة بين القراء المسلمين في قراءة الذكر الحكيم في سنة ثلاثين للهجرة، وفي نفس الحقبة تملك حذيفة بن اليمان (ت36هـ) فاتح نهاود خوفا وقلقا شديدين لما رآه من تناحر أهل الشام والعراق من حبه أثناء غزواته في أذربيجان وأرمينية لخلافات كان يلاحظها كلّ فريق لدى قراءة الفريق الآخر للآيات القرآنية، لذا اتّجه إلى عثمان رضي الله عنه راجيا إياه إيجاد حلّ لتلك الخلافات ووضع حدّ لها حتّى لا

¹ - مختار أحمد عمر، البحث اللغوي عند العرب، ص19.

² - عبد الرحمان جلال الدين السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، تح: محمد أبو فضل إبراهيم، د.ط. القاهرة: د.ت، الهيئة المصرية للكتاب، ج1، ص273.

³ - محمد عيد، الاستشهاد والاحتجاج باللغة: رواية اللغة والاحتجاج بها في ضوء علم اللغة الحديث، ط3. القاهرة: 1988، عالم الكتب، ص99.

⁴ - الحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الجزري، النّشر في القراءات العشر: تح: علي محمد الضباع، د.ط. بيروت: د.ت، دار الكتب العلمية، ج1، ص7، بتصرف.

ينتهي المطاف بالمسلمين كغيرهم من أسبقيّتهم من أهل الدّينيات الأخرى الأولى¹، وتصبح مجرد ذكرى انتهى زمنها.

وهناك عدّة كتب خلّفت روايات تؤكّد أنّ الخلاف في القراءات موجود حتّى في زمن محمد صلى الله عليه وسلّم، مثل ما يروى عن أبي بن كعب (ت30هـ): "دخلت المسجد أصلي فدخل رجل فافتتح "النحل" فقرأ فخالفني في القراءة، فلما انفتل قلت: من أقرأك؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم جاء رجل فقام يصليّ فقرأ فافتتح "النحل" فخالفني وخالف صاحبي. فلما انفتل قلت: من أقرأك؟ قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل قلبي من الشكّ والتكذيب أشدّ ممّا كان في الجاهليّة. فأخذت بأيديهما فانطلقت بهما إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقلت: استقرئ هذين، فاستقرئ أحدهما فقال: أحسنت. فدخل قلبي من الشكّ والتكذيب أشدّ ممّا كان في الجاهليّة. ثم استقرئ الآخر فقال: أحسنت. فدخل قلبي صدري من الشكّ والتكذيب أشدّ ممّا كان في الجاهليّة. فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلّم صدري بيده، فقال: أعيدك يا أبي من الشكّ، ثم قال إنّ جبريل عليه السلام أتاني فقال إنّ ربك عزّ وجلّ يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد، فقلت: اللهم خفف على أمّتي، ثم عاد فقال: إنّ ربك عزّ وجلّ يأمرك أن تقرأ القرآن على حرفين، فقلت: اللهم خفف على أمّتي. ثم عاد فقال: إنّ ربك عزّ وجلّ يأمرك أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف، وأعطاك لكلّ ردة مسألة². وفي هذه النّقطة أيضا هناك خلاف حول مفهوم "أحرف" ومعناها، فنقول عفيف دمشقية (ت1996م): "يبدو لنا أنّ هناك إجماع على أنّ المقصود بـ"الأحرف" هو "اللغة"؛ أي الفارق اللّهي بين قبيلة وأخرى"، كان يقرأ ابن مسعود (ت32هـ): "إن كانت إلزقيّة واحدة" بدلا من "إن كانت إلّا صحيحة واحدة" [يس:29]³. واستدلّت على ذلك بقول النبي محمّد عليه الصلّاة والسّلام: "نزل القرآن على سبعة أحرف كلّها شاف كاف، فاقروا كيفما شئتم"⁴. أي أن الأحرف تعني اللغة وهذا ما يؤكده النبي محمد عليه الصلاة والسلام.

فهنا تصد بمعنى الحروف أنّها اللّهيّة التي يتكلّم بها كلّ قوم وهي مختلفة من قبيلة لأخرى، أي لكلّ منهم لغة ينفرد بها عن الآخر.

¹ - عفيف دمشقية، أثر القراءات القرآنيّة في تطوّر الدّرس النّحوي، ط1. بيروت: 1978، معهد الأنماء العربي، ص9، بتصرف.

² - المرجع نفسه، ص13-14.

³ - المرجع نفسه.

⁴ - المرجع نفسه.

ولكن يشترط عدم الخلط بين عدّة أحرف تبعا لقوله عليه السّلام: "إنّ هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقروا منه ما تيسّر، فمن قرأ قراءة عبد الله [أي ابن مسعود] فقد قرأ بحرفه، ومن قرأ قراءة زيد أبي [أي ابن ثابت] فقد قرأ بحرفه"¹ أي ويجب اتّباع حرف واحد لا غير أثناء التّلاوة.

وبهذا فالله سبحانه وتعالى قد أنزل كتابه مخفّفاً ميسّراً على كافة شعوب الأُمَّة الإسلاميّة حتّى ينطقوا بها ليّنة ألسنتهم، سهلة لهجاتهم، رغم الاختلافات الموجودة بين لغاتهم، ونبرات صوتهم، وبالتالي فالتيّسير هو الحكمة الأساسيّة من نزول القرآن على سبعة أحرف.

ومن أبرز الفوائد والأحكام الأخرى لنزول القرآن الكريم على سبعة أحرف²:

1- جمع الأُمَّة الإسلاميّة الجديدة على لسان واحد يوحد بينها: وهو لسان قريش الذي نزل به القرآن الكريم، والذي انتظم كثيرا من مختارات السنة القبائل العربيّة التي كانت تختلف في مكّة في موسم الحجّ وأسواق العرب المشهورة.

2- بيان حكم من الأحكام: كقوله سبحانه: ﴿...وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورِثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا...﴾ [النساء:12]. قرأ سعد بن أبي وقاص "وله أخٌ أو أختٌ من أمّ" بزيادة لفظ: "من أمّ" فتبيّن بها أنّ المراد بالإخوة في هذا الحكم الإخوة للأُم دون الأشقاء ومن كانوا لأب، وهذا أمر مجمع عليه.

3- الجمع بين حكمين مختلفين بمجموع القراءتين: كقوله سبحانه: ﴿...فَاعْتَرَلُوا النِّسَاءَ فِي المَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ...﴾ [البقرة:222]، قرئ بالتخفيف والتشديد في حرف الطاء من كلمة "يطهرن" فصيغة التشديد يفيد المبالغة أي المبالغة في طهر النساء من الحيض، بينما صيغة التخفيف فلا تفيد هذه المبالغة. ومجموع هتين القراءتين يحكم بأمرين:

أوّلا: أنّ الحائض لا يقربها زوجها حتّى يحصل أصل الطهر، وذلك بانقطاع الحيض. والثاني: أنلا يقربها زوجها إلّا إن بالغت في الطهر وقامت بالاعتسال.

4- الدلالة على حكمين شرعيين ولكن في حالتين مختلفين: كقوله تعالى: ﴿...فَاعْسَلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ...﴾ [المائدة:6] قرئ بنصب لفظ

¹ - عفيف دمشقية، أثر القراءات القرآنية في تطوّر الدرس النحوي، ص14، بتصرف.

² - محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، نح: فواز أحمد زمرلي، ط3. بيروت: د.ت، دار الكتاب العربي، ج1، ص125-126-127، بتصرف.

"أرجلكم" وجزّها. فالنّصب يفيد طلب غسلها لأنّ العطف حينئذ يكون على لفظ: "وجوهكم" المنصوب، وهو مغسول، والجرّ يفيد طالب مسحها، لأنّ العطف حينها يكون على: "رؤوسكم"، المجرور وهو ممسوح.

5- دفع توهم ما ليس مرادا: كقول تعالى: ﴿...يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ...﴾ [الجمعة: 9]. وقرئ "فامضوا إلى ذكر الله" فالقراءة الأولى يتوهم منها وجوب وضرورة السرعة في المشي إلى صلاة الجمعة. أمّا القراءة الثانية فقد قامت برفع هذا التّوهم كون المضي لا يعني السرعة.

6- بيان لفظ مبهم على البعض مثل قوله سبحانه في وصف الجنّة وأهلها: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ [الإنسان: 20]. وردت قراءة ثانية بفتح الميم وكسر اللّام في هذا اللفظ نفسه مؤكّدة رؤية المؤمنين لله تعالى في الآخر لأنّ سبحانه هو الملك وحده في تلك الدّيانة.

إنّ ما سبق يوصل إلى مفهوم نزول القرآن على سبعة أحرف بمعناه الدّقيق والذي يتمثّل في سبع لغات من لغات العرب وليس كما ذهب إليه البعض أنّه لكلّ حرف واحد سبعة أوجه.

وجميع هذه الحروف موجودة أيضا في المصاحف العثمانيّة وذلك حسب ما ذهب إليه جماعة من الفقهاء و"احتجّوا على رأيهم هذا بأنّه لا يجوز للأمة أن تهمل نقل شيء منها، وأنّ الصّحابة أجمعوا على نقل المصاحف العثمانية من الصّحف التي كتبها أبو بكر واتّفقوا على ترك ما غير ذلك، وهذا يعني أنّ الصّحف التي كانت عند أبي بكر جمعت الأحرف السّبعة لذا نقلت منها المصاحف العثمانية بالأحرف السّبعة أيضا¹، وبالتالي فالقرآن بصورته الحاليّة هو ما وافق خطّ ذلك المصحف من القراءات التي نزل بها القرآن، فهو من الإجماع أيضا²؛ أي أنّ المصاحف التي تستعمل في الوقت الزّاهن هي الموافقة للمصاحف العثمانية واللّغة المستعملة فيها، وقد اتّفق العلماء على اتّباعه.

وقسمت القراءات إلى ثلاثة أقسام تتمثّل في: المتواترة والصّحيحة والشاذة.

1. القراءة المتواترة: يعرفها ابن الجزري (ت833هـ): "كلّ قراءة وافقت العربيّة مطلقا ووافقت أحد المصاحف العثمانيّة ولو تقديرا، وتواترا نقلها، هذه القراءة المقطوع بها. وهي أيضا ما اتّفقت الطّرق في

¹ - مكي بن ابي طالب حموش القيسي، الابانة عن معاني القراءات، تح: وتعليق وشرح: عبد الفتاح شلبي، د.ط. القاهرة: د.ت، دار نهضة مصر، ص43.

² - الخليل محمد بن محمد الدمشقي الجزري، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، د.ط. القاهرة: 1931م، مكتبة القدسي، ص15.

نقله عن السبعة وهذا الغالب في القراءات¹. وحسب تعريف ابن الجزري يتّضح أنّ هناك ثلاثة أركان وشروط تضبط القراءة المتواترة وهي:

- موافقة اللغة العربيّة بشكل مطلق، أي موافقة القراءة للقواعد والآراء النّحوية المستنبطة من النّطق العربي.

- موافقة أحد المصاحف العثمانية والرّسم العثماني: أي كيفية كتابة الحروف والكلمات القرآنية بما يوافق عليه صورة القرآن النّهائية.

- حصول التّواتر: وفي نظره هو أهمّ شرط لقبول القراءة المقروء بها وثبوت صحتها، إذ يقول الحافظ أبو عمرو الداني(ت1053) في هذا المنبر: "وأئمّة القراء لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفضى في اللغة والأفيس في العربيّة، بل على الأثبت في الأثر والأصح في النّقل والرواية إذ ثبت عنهم لم يرّدها قياس عربية ولا فسوّ لغة، لأنّ القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها²".

وانتق العلماء على العمل بعشر قراءات، هي³:

- 1.. قراءة نافع المدني (ت169هـ) من روايتي قالون وورش عنه،
2. قراءة عبد الله بن كثير المكي (ت120هـ) من روايتي البزي وقنبل عن أصحابها،
3. قراءة أبي عمرو بن العلاء البصري (ت154هـ) من روايتي الدوري والسوسي عن يحيى اليزيدي عنه،
4. قراءة ابن عامر الشّامي (ت118هـ) من روايتي هشام وابن ذكوان عند أصحابهما عنه،
5. قراءة عاصم الكوفي (ت127هـ) من روايتي أبي بكر شعبة بن عياش وحفص بن سليمان عنه،
6. قراءة حمزة الكوفي (ت156هـ) من روايتي خلف وخلاد عن سليم عنه،
7. قراءة الكسائي النّحوي (ت189هـ) من روايتي أبي الحارث والدّوري عنه،
8. قراءة يزيد بن الفقعاع أبو جعفر المخزومي (ت127هـ) من روايتي ابن وردان وابن جماز عنه،

¹- مصطفى ديب البغا ومحي الدين ديب مستو، الواضح في علوم القرآن، القاهرة: 1931م، مكتبة القدسي، ص15.

²- الخليل محمد بن محمد الدمشقي الجزري، النّشر في القراءات العشر، ص10-11.

³- المرجع نفسه، ص54، بتصريف.

9. قراءة يعقوب البصري (ت205هـ) من روايتي رويس وروح عنه،

10. قراءة خلف البزاز (ت229هـ) من روايتي إسحاق الوراق وإدريس الحداد عنه،

ويرجع سبب اختيار هؤلاء دون غيرهم إلى ملازمتهم تلك القراءة وتجرّدهم للإقراء وإفناء أعمارهم في هذا العلم مع التّقى والعدالة وحسن السيّرة¹؛ إذ أنهم أكثر من اهتموا بهذا العلم وتعمقوا فيه.

وكلّ هذه القراءات قد رواها عدد لا يحصى من الصّحابة رضي الله عنهم عن الرّسول صلى الله عليه وسلّم ورواها عن الصّحابة التّابعين وأتباع التّابعين والأجيال بعدهم.

وقد أجمع الفقهاء على أنّه لم يتواتر شيء سوى هذه العشر المشهورة ولم يزد عنها شيء، على قول ابن جزري: "إن القراءات المتواترة لا حدّ لها، إذ أراد في زماننا فغير صحيح، لأنّه لا يوجد اليوم قراءة متواترة وراء العشر، وإذ أراد في الصدر الأوّل فيحتمل إن شاء الله²". أي أنه لا توجد زيادة عن هذه القراءات المذكورة.

2. القراءة الصّحيحة: حسب ابن جزري فهي تقسم إلى قسمين:

• القسم الأوّل: القراءة الجامعة للأركان الثلاثة، و"هو ما صحّ سنده بنقل العدل الضّابط عن الضّابط كذا إلى منتهاه ووافق العربيّة والرّسم³". وهذا القسم بدوره يقوم على ضربين⁴:

- المستفيظ: وهو الذي استفاض نقله وتلقاه الأئمة بالقبول وتوسّع مدار تداوله وسرده، وقد انفرد به بعض الرّواة والكتب المعتمدة إذ هي صحيحة لا شكّ فيها أنّها منزلة على النّبي محمد عليه الصلاة والسلام بالأحرف السّبعة، وهذا النوع يلحق بالقراءة المتواترة.

- الغير المستفيظ: وهذا النوع لم تتلقاها الأئمة بالقبول، ولم تستنفض في نقلها.

• القسم الثّاني: هو ما وافق العربيّة وصح سنده وخالفت الرّسم العثماني أي شذت عن رسم

¹ - محمد أحمد مفلح القضاة، أحمد خالد سيكري، محمد خالد منصور، مقدّمات في علم القراءات، ط1. عمان: 2001م، دار عمار، ص225.

² - ابن الجزري، منجد المقرئين ومرشد الطّالبيين، ص18.

³ - المرجع نفسه، ص16.

⁴ - المرجع نفسه، بتصرف.

المصحف المجمع عليه. وهذا القسم يعتبر من الشّواذ¹. أي ما خالفت الشروط المذكورة سابقا فهي شاذة. 3. القراءة الشّاذة: يعرفها علي النّوري السفاقي (ت1118هـ): "الشّاذ ما ليس متواتر وكلّ ما زاد الآن على القراءات العشرة فهو غير متواتر²"، بمعنى أنّ كلّ قراءة غير متواترة وغير القراءات العشر، المعروفة فيعتبر شاذًا.

وحسب شعبان محمد إسماعيل، فهي كلّ قراءة فقدت الأركان الثلاثة: التّواتر، ورسم المصحف وموافقة وجه من وجوه العربية أو واحد منها³. وعليه فالقراءة الشّاذة هي القراءة المتواترة التي لم تتوفّر فيها الشّروط والأركان الثلاثة المذكورة، إمّا جميعا أو واحد منها.

هناك العديد من العلماء المتخصّصين في علم القراءات قاموا بنفي التّواتر عن القراءات الثلاث الأخيرة: قراءة أبي جعفر، قراءة يعقوب البصري، قراءة خلف، بعد إثبات تواتر القراءات السبع الأخرى، وزعموا بأنّ القراءات الثلاث إنّما هي مشتهرة مستفيضة لا غير ولا تصل في ثبوتها إلى درجة التّواتر⁴. وتمّ نفي هذا الزعم حيث قال ابن الجزري أنّ عبد الوهاب بن علي السبكي ردّ على ذلك الاعتبار قائلا: "والقول بأنّ القراءات الثلاثة غير متواترة في غاية السّقوط، ولا يصحّ القول به ممّن يعتبر قوله في الدّين⁵". وأكد أيضا تواتر القراءات الثلاث في قوله: "القراءات العشر السبع التي اقتصر عليها الشّاطبي والثلاث التي هي قراءة أبي جعفر وقراءة يعقوب وقراءة خلف متواترة معلومة من الدّين بالضرورة وكلّ حرف انفرد به واحد من العشرة متواتر معلوم من الدّين بالضرورة أنّه منزل على الرّسول صلى الله عليه وسلّم⁶".

¹ - ابن الجزري، منجد المقرئين ومرشد الطّالبيين، ص18، بتصرف.

² - علي النّوري بن محمد السفاقي، غيث النّفع في القراءات السبع، تح: أحمد محمود عبد السميع الشّافعي الحفيان، ط1. بيروت: 2004م، دار الكتب العلمية، ص14.

³ - شعبان محمد إسماعيل، القراءات أحكامها ومصدرها، د.ط. مكة المكرمة، د.ت، الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي، ص113.

⁴ - محمد أحمد مفلح القضاة، أحمد خالد سيكري، محمد خالد منصور، مقدمات في علم القراءات، ص223.

⁵ - الخليل محمد بن محمد الدمشقي الجزري، منجد المقرئين ومرشد الطّالبيين، ص49.

⁶ - المرجع نفسه، ص51.

كما هناك فريق آخر يذهب إلى أنّ القراءات الشّاذة هي الأربعة الزّائدة عن العشر المتواترة والمتمنّلة

في¹:

- قراءة بن محيصن (ت123هـ)،
- قراءة يحيى اليزيدي (ت202هـ) وقراءته هذه غير قراءته التي يرويه عن أبي عمرو البصري فإنّها متواترة (ت154هـ)،
- قراءة الحسن البصري (ت110هـ)،
- قراءة الأعمش (ت148هـ).

ويوجد بعض من التّحويين رفضوا القراءات بشكل كامل، ورفضوا الاحتجاج بها ونعوتها بالشّاذة، أمثال أبي الحسن الأخفش (ت215هـ) الذي لم يتقبّلها وفنّدها كلّها كما فعل في قراءته من جمع بين الهمزتين في: أمن السّفهاء ألاً...سواء عليهم أنذرتهم... ولا يحيق المكر السيء إلا... قال: "كلّ هذا يهمزون فيه همزتين، وكلّ هذا ليس من كلام العرب، إلاّ شاذاً"²، و نعت أيضاً بالشّذوذ قراءة من قرأ "اشتروا الضّلالة"³.

بينما في العصور المتأخّرة فقد قبل النّحاة بجميع القراءات بأنواعها حتّى الشّاذة منها وهذا واضح بدقّة عند تراث ابن مالك (ت672هـ) صاحب "الألفية"، وأبي حيان الأندلسي (ت745هـ) صاحب "بحر المحيط" وهو شديد الحماسة في الدفاع عند القراءات أين يقول: "وكثير من هؤلاء النّحاة يسيئون الظّن بالقراءة ولا يجوز لهم ذلك"⁴.

بعد كلّ ما سبق يتّضح أن القراءات القرآنية تقوم على ركائز أساسية هي التّلقّي والضّبط والرّواية والنّقل، وصدرت من النّبي محمد صلى الله عليه وسلم ورواها الصّحابة رضي الله عنهم ثمّ التّابعون لهم وهكذا باتت تقرأ جيلاً بعد جيل. وقد اختلفت نظرة النّحاة اتّجاهها، فهناك من يرى أنّ بعضها صحيح

¹ - محمد أحمد مفلح القضاة، أحمد خالد شكري، محمد خالد منصور، مقدّمات في علم القراءات، ص73، أحمد بن محمد ديميّاطي، اتحاف فضلاء البشر، ص10، شعبان محمد إسماعيل، القراءات وأحكامها وصدورها، ص128. نقل عن: عبد المحمود يوسف عبد الله، أقسام القراءات وأنواعها، مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، العدد ثلاثون، 2015م، ص15.

² - معاني القرآن، الدوحة، ج2، ص20، نقل عن: محمد خير الحلواني، أصول النّحو العربي، ص36.

³ - المرجع نفسه، ج1، ص23، نقل عن: المرجع نفسه.

⁴ - أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، تح: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد يعوض، زكريا عبد المجيد، أحمد النجولي الجمل، ط1. بيروت: 1993م، دار الكتب العلميّة، ج4، ص271.

يجب الأخذ بها، أمّا بعضها فشاذّة، وهناك من يعتقد أنّ كلّ القراءات شاذّة دون استثناء، بينما يوجد من يزعم بأنّ كلّها متواترة صحيحة.

ت- الحديث النبوي الشريف: الحديث هو كلام رسول الله صلى الله عليه وسلّم وما ينضمّ إليه من عبارات وأقوال توضّح أقواله وأفعاله وأخباره¹. وهو أيضا: "كلّ قول أو فعل أو تقرير أو وصف نسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم"²، وهو الذي سمّي بنفسه قوله "حديثا" وكاد بهذه التسمية يميّز ما أضيف إليه عما عداه³. ويعتبر الحديث النبوي المصدر الثالث الذي تُؤخذ منه النصوص التي يحتجّ بها في قضايا لغويّة بعد القرآن الكريم، والقراءات القرآنية، وقد حضت هذه النصوص بالكثير من العناية والتوثيق من قبل النحاة؛ إذ لم تعهد العربية كلاما أكثر فصاحة من القرآن الكريم وأبين قولاً، وأكثر بلاغة، فالكلام النبوي حظي بكلّ هذه السمات التي تجعل منه كلاما يدفع العرب للاهتمام به⁴.

وانقسم النحاة والفقهاء في الاستشهاد بكلام محمد عليه الصلاة والسلام إلى ثلاثة مذاهب هي:

1. مذهب المانعين: ويسمّى أيضا بمذهب المنكرين ويرون أنّ الحديث لا يصلح للاحتجاج به لافياتبات ألفاظ اللغة ولا في وضع قواعدها، ويمثّل هذا المذهب كلّ من ابن الضائع (ت680هـ) وأبو حيان (ت414هـ) اللذان يصرّان على عدم الوثوق بأنّه نقل من الرسول صلى الله عليه وسلّم⁵، فيدافع أبو حيان عن موقفهم هذا على أن سبب رفض العلماء من اتّخاذ الحديث كحجّة هو عدم تأكدهم إن كان لفظ الرسول صلى الله عليه وسلّم أم لا، ويّرر هذا بأمرين⁶:

• الأول: أنّ الرواة جوّزوا النّقل بالمعنى، إذ يتواترون قصّة واحدة جرت في زمان النبي ولكن

بألفاظمختلفة مثل قوله: "زوجتكما بما معك من القرآن"،

وفي رواية أخرى: "ملكنتكما بما معك من القرآن"،

وفي رواية ثالثة: "أمكناكما بما معك من القرآن"،

¹- خديجة الحديثي، موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف، د.ط، بغداد: 1981م، دار الرشيد، ص05.

²- صبحي صالح، علوم الحديث ومصطلحه، ط15. بيروت: 1984م، دار العلم للملايين، ص03، بتصرف.

³- المرجع نفسه، ص05.

⁴- سعيد الأفغاني، في أصول النحو، ص46، بتصرف.

⁵- عفاف حسنين، في أدلة النحو، ط1، القاهرة: 1996م، المكتبة الأكاديمية، ص73، بتصرف.

⁶- سعيد الأفغاني، أصول النحو، ص47-48.

فمن المؤكّد أنّ الرّسول محمد صلّى الله عليه وسلّم لم يتقوّه بكلّ هذه الألفاظ، وإنّما قال بعضها فقط أو استعمل مرادفاتنا فأتى الرّواة بالمرادفات.

• الثّاني: يتمثّل في وجود الكثير من الأخطاء في الحديث كون العديد من الرّواة عجم وليس لهم دراية بصناعة النّحو. وقال أبو حيان عن ابن الصّائغ قوله: "لولا تصريح العلماء بجواز النّقل بالمعنى في الحديث لكان أولى وأثبت في إثبات فصيح اللّغة كلام الرّسول صلّى الله عليه وسلّم"¹.

2. مذهب الموجزين: ويتمثّل في فريق جوز اعتماده دليلاً في اللّغة وعدّه الأصول التي يرجع إليها في تحقيق الألفاظ وتقرير القواعد وممّن عرف بذلك ابن مالك وابن هشام².

ولقد استشهد بالحديث النّبوي الشّريف العديد من النّحويين. كأبي علي الفارسي (ت377هـ)، وابن جني (ت392هـ)، وابن يري (ت110هـ) أحياناً، بالإضافة إلى أمثال ابن خروف (609هـ)، والسّهيلي (ت581هـ) وكان ابن مالك أوّل من توسّع وتعمّق في ذلك³؛ فأكثر من الاستدلال بما وقع في الأحاديث على إثبات القواعد الكلّية في لسان العرب ولا سيما في كتاب "التّسهيل"⁴.

واستند كلّ هؤلاء في جوازهم الاعتماد على الحديث إلى الاجماع أنّ النّبي أفصح العرب لهجة وأنّ الأحاديث أصحّ سنداً ممّا ينقل من أشعار العرب⁵. وحسب سعيد الأفغاني: "الاحتجاج بالحديث هو منشأ معاجم اللّغة، فنظرة إلى معاجم (التّهذيب للأزهري) و(الصّحاح للجوهري) و(المخصّص لابن سيده) و(المجمل ومقاييس اللّغة لابن فارس) و(الفائق للزمخشري) كافية لدحض ما ادّعى أبو حيّان⁶". وكان البغدادي أيضاً صاحب (خزانة الأدب) من الذين دعوا للاحتجاج بالحديث بشكل مطلق، حيث قال: "والصّواب جواز الاحتجاج بالحديث النّحوي في ضبط ألفاظه، ويلحق به ما روي عن الصّحابة وأهل البيت بالإضافة إلى: ابن الطيّب المغربي الذي دافع بشدّة عن الحديث النّبوي والذي يتّضح في شرحه لاقتراح السيوطي.

¹ - عفاف حسانين، في أدلّة النّحو، ص73.

² - المرجع نفسه، ص73.

³ - المرجع نفسه، بتصرف.

⁴ - سعيد الأفغاني، في أصول النّحو، ص50.

⁵ - المرجع نفسه، بتصرف.

⁶ - المرجع نفسه، ص48-49.

3. مذهب المتوسّطين: وهم الذين وقفوا موقفاً وسطاً بين المانعين والمجوزين، وكان ممثّهم: الشّاطبي، أين أجاز الاحتجاج بالأحاديث التي اعتنى بنقل ألفاظها، وفي الوقت نفسه قام بنفي احتجاج النّحاة المتقدّمين على ابن مالك، وأنّه لا وجود لمن احتجّ قبله بالحديث سوى ابن خروف¹، ورأى أيضاً أنّ الحديث قسامين: قسم اعتنى روايته بمعناه وإهمال لفظه، ولم يقع به استشهاد أهل اللّسان وقسم اعتنى ناقله بلفظه لمقصود خاص، فهذا يصحّ الاستشهاد به².

وبالتّالي فإنّ أصحاب هذا المذهب توسّطوا بين المنع والجواز، فهم لم يرفضوا الحديث كلّ، ولم يأخذوا به بشكل كليّ، لكنهم يجيزون الأحاديث التي ثبت أنّها لفظ الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، وذلك كالأحاديث القصيرة والأحاديث التي اعتنى بنقل ألفاظها وأنها نقلت على ألسن موثوقة.

يتّضح في نهاية ما ذهب إليه التّحليل بخصوص الاحتجاج ومصادره أنّهم أهمّ عملية في التّقييد اللّغوي، فهو يعمل على بناء القواعد النّحوية والصّرفية وتتمثّل مصادره في: كلام العرب، القرآن الكريم، القراءات القرآنية، والحديث النّبوي الشّريف والتي هي محور الارتكاز في البحث اللّغوي ومحك صحتها.

3- أشهر علماء اللغة العربية:

هناك عدد لا يعدّ ولا يحصى من اللّغويين الذين كان لهم أثر كبير في تقعيد اللغة العربية ووضع أصولها، فكان لهم أعمال لا تزال مرجعاً أساسياً في البحث اللّغوي حتّى في الوقت الرّاهن، ومن أبرز هؤلاء يذكر:

3-1- أبو الأسود الدّوّلي (ت69هـ):

هو أبو الأسود ظالم بن عمرو بن سفيان. يعتبر أفصح النّاس وكان يقول دائماً إنّني لا أجد للحن عمر كعمر اللّحم³. والكثير من علماء عصره والذين أتوا من بعده يذهبون إلى أنّه هو الوضع الأوّل لوضع قواعد العربيّة، حيث قال ابن سلام الجمحي (ت232هـ): "أول من أسّس العربيّة وفتح بابها وأنهج

¹- سعيد الأفغاني، في أصول النّحو، ص25.

²- عبد القادر البغدادي، خزنة الأدب، ص05.

³- خديجة الحديثي، المدارس النّحوية، ص49.

سبيلها، ووضع قياسها أبو الأسود الدّوّلي، وهو ظالم بن عمرو بن سفيان بن حنبل بن يعمر ابن حلس بن نفاثة بن عدي بن الدّوّلي: وكان كاد رجل أهل البصرة، وكان علويّ الرأي¹.

ومن أهمّ جهوده²:

- وضع أوّل أسس الإعراب الذي يتمثّل في التّنتقيط أي نَقَط المصحف، بسبب الأخطاء التي ارتكبت أثناء تلاوته، فكان لا بدّ له أن يلاحظ كلّ كلمة في آيات القرآن الكريم، وكيف نطقت، وميّز مواضع الرّفْع من مواضع النّصب والجرّ والجزم، وفصل بين المنون والغير المنون، وبالتالي توصل إلى أنّ هناك أدوات إمّا تُنصب أو تجزم أو ترفع أو تجرّ اللفظ الذي يأتي بعدها، ولكنّه ولم يضبط هذه الأدوات بصورة مفصّلة وإنّما كان مجرد إشارة إليها.

- وضع باب (الفاعل والمفعول به) بعد سماعه لقراءة الآية الكريمة: ﴿لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾ [الحاقة:37]. أو ما قاله رجل جاء إلى زياد: "توفّي أبانا وترك بنونا".

- وضع باب العطف عند سماعه لقراءة القول الكريم: "إنّ الله بريء من المشركين ورسوله". بكسر اللّام والهاء.

- وضع بابي التّعجب والاستفهام عند سماع قول ابنته: "يا أبت ما أشدّ الحر؟" وهي تريد التّعجب.

- وضع باب الفاعل أو التّأنيث أو الإضافة "عند سماعه قول القائل: "سقطت عصاتي"، وليس معنى هذا أنّه وضع أبوابا كاملة كما يفهم من تعبير الرّواة بقولهم: "وضع باب كذا..." وإنّما تكلم عليه ببعض ما عنده.

وقد اختلف العلماء والباحثون حول ما إن كان أبو الأسود الدّوّلي هو الواضع الأوّل للنحو أو غيره، ولكن هذا لا يمنع حقيقة أنّ نقط القرآن الذي قام به هو اللبنة الأولى في بناء النحو العربي.

3-2- الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت170هـ):

هو من اللّغويين البصريين، كان عقله من العقول الخصبة النّادرة وموسوعة لجميع العلوم، حيث قال عنه ابن المقفّع (ت142هـ): "أنّه فتح أبواب علوم لغوية لم ينجح من كان قبله في ذلك مثل اكتشافه لعلم العروض، ووضع أوزانه وحدوده وتفاعيله وتقاريعه، ولم يترك لمن بعده شيئا يضيفونه إليه، كما أنّه وضع أوّل معجم في اللّغة العربيّة وهو معجم العين الذي حصر فيه جميع الكلمات التي يمكن أن تقع في

¹ - خضر موسى محمد جمود، النحو والنّحاة المدارس والخصائص، ص15.

² - خديجة الحديثي، المدارسالنحوية، ص49، بتصرف.

العربيّة، حيث بناه على تقليب كلّ الصيغ الأصليّة بحيث تتدرج فيكّل كلمة مع الكلمات الأخرى التي تتكوّن من نفس الحروف فقط تختلف من حيث ترتيبها مثل "كتب": كبت، تكب، تبك، بكت، بتك¹.

كما اعتمد في تأصيله لقواعده وإقامته بنياته على السّماع والقياس والتّعليل: فالسّماع عنده مبني على النّقل عن القراء للكتاب الحنيف، واجتهد في الأخذ عن كلام العرب الذين لا شكّ في فصاحتهم، أين رحل إلى بلادهم في الجزيرة يحدّثهم ويأخذ عنهم الشّعْر واللّغة، وهو الذي دعا إلى عدم الاستشهاد بالحديث النّبوي الشّريف لأنّ الكثيرين من حملته كانوا من الأعاجم، وهو لا يثق في فصاحتهم؛ أمّا بالنّسبة للشّعْر والنّثر فقد كان مشبّعا بهما وهذا واضح في كتاب سيبويه إذ أنّ أكثر المنقول فيه تردّد إليه، كما استقرأ لغة العرب ما ساعده على وضع القواعد اللّغوية النّحوية منها والصّرفية التي بهر من كيفية ضبطها كلّ من يقرأ كتاب سيبويه².

إنّ الخليل يمكن اعتباره أوّل واضع النّحو في صورته المركّبة أنّه فطن للعديد من العلوم العربيّة وللّكثير من القواعد ووضع أوّل معجم تناول فيه جميع ألفاظ هذه اللّغة، الشّيء الذي لم يسبق لغيره أن قام به.

3-3- سيّويه (ت180هـ):

اسمه عمرو بن عثمان بن قنبر اشتهر بلقب "سيّويه" وهو لقب أعجمي يدلّ على أصله الفارسي³. وهو تلميذ الخليل الخاص، أخذ منه علمه واستوعبه وورث قدرته في القياس والابتكار واتّبع منهجه في التّوثيق ممّا يسمع عند العرب، فوضع كتابه المسمّى "الكتاب" الذي جمع فيه علم الخليل في النّحو والصّرف وعلم الكثير من الفحول المشهورين في عصره أمثال: أبي عمرو بن العلاء، علا يونس، بن حبيب، علي بن أبي الخطاب الأخفش وأبي زيد الأنصاري وغيرهم كثيرا، أمّا بالنّسبة للشّواهد فقد وظّف ألفا وخمسين شاهدا كلّهم معروفين ما عدا خمسين منها⁴. فقد اعتمد سيّويه في السّماع على النّقل عن القراء وعلماء اللّغة والعرب الذين يوثق بفصاحتهم، وهذا أساس وضعته مدرسته، وسار على خطاها في قلّة الاحتجاج بالحديث النّبوي كونه رواية معنى لا لفظا وأغلب رواته أعاجم؛ ووظّف أيضا الكثير من القواعد المطردة والأمثلة الشّاذة لما أورده من التّعليلات المبالغ فيها، حتّى أنّه يعلّل سبب خروجه عن تلك

¹ - شوقي ضيف، المدارس النّحويّة، ص40-41، بتصرف.

² - المرجع نفسه، ص46-47، بتصرف.

³ - المرجع نفسه، ص57.

⁴ - سعيد الأفغاني، من تاريخ النّحو، ص113.

القواعد، فبالنسبة له لا وجود لأسلوب أو قاعدة دون علّة، ومن أمثلة ذلك: تعليله لسبب التّوئين على الأسماء المتمكّنة دون الأفعال المضارعة ويرجع الأمر إلى خفته وثقلها: يقول: "اعلم أنّ بعض الكلام أثقل من بعض، فالأفعال أثقل من الأسماء لأنّ الأسماء هي الأسماء هي الأوّل، وهي أشدّ تمكّنا"، فالتّعليل يسيطر على أغلب الكتاب¹.

وقد اتّبع سيبويه طريقتين في دراسة النّحوية والصّرفية هما: طريقة الاستملاء العادي، وطريقة السّؤال والاستفسار مع كتابة كلّ إجابة وكلّ رأي يدلى به وكلّ شاهد يرويه عن العرب، حيث يقول أبو الطيّب (ت354هـ) فيه وفي كتابه: "هو أعلم النّاس بالنّحو بعد الخليل، وألّف كتابه الذي سمّاه النّاس قرآن النّحو"²، فأبو الطيّب اعتبر "الكتاب" قرآنا في مجال النّحو فأبي عالم سيكون عاجزا أمام عظّمته.

إنّ كتاب سيبويه كان وسيظلّ أكبر مرجع في البحث اللّغوي، لم يأت بمثله من قبل ولن يكون في المستقبل، على قول أبو عثمان المازني (ت247هـ): "من أراد أن يعمل كتابا كبيرا في النّحو بعد سيبويه فليستحي"³. وهذا دليل قاطع على أنّ الاتيان بمثل كتاب سيبويه من المستحيل القاطع.

3-4- ابن جني (ت392هـ):

هو أبو الفتح عثمان ابن جني النّحوي الموصلّي، من تلاميذه، المبرد (ت286هـ)، وثلعب (ت291هـ)، يقوم بتدريس الطّلاب بالموصل في مسجدّها أخذ عن أبي علي الفارسي (ت377هـ) بعد تعرّفه عليه عند زيارته للموصل وصاحبه منذ ذلك الحين، ولازمه فبحث في علم النّصريف لأنّه كان السّبب في تعرّفه على أبي علي الفارسي حين أخطأ في مسألة تصريفه هي قلب "الواو" "ألف" في "قام" و"قال" ما جعله يبالغ في البحث في النّصريف. يبلغ عدد مصنّفاته نحو خمسين مصنّفا، أشهرها: "الخصائص"، "اللّمع"، "النّصريف الملوكي"، "شرح تصريف المازني" المسمّى بـ "المصنّف"، "المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها" وهو أميل إلى علم النّحو، "التّمّام في شرح أشعار هذيل" وهو شرح نحوي لغوي، و"سرّ صناعة الإعراب". وكلّ هذه المؤلفات لعبت دورا هامّا في الدّرس اللّغوي وفي ارتقاء اللّغة العربية وفلسفتها.

¹ - خضر موسى محمد جمود، النّحو والنّحاة المدارس والخصائص، ص41، بتصرف.

² - المرجع نفسه، ص40.

³ - محمد سليمان ياقوت، النّحو العربي: تاريخه-أعلامه-نصوصه-مصادره، د.ط. دار المعرفة الجامعيّة، القاهرة، 1994، ص60.

3-5- أبو عمرو بن دريد (ت104هـ):

هو زيان بن علاء بن عمار المازني توفي 104 للهجرة، هو من القراء السبعة المشهورين، وهو العربي الوحيد فيهم¹. كما أنّه من أشرف مازن وأحد الأعلام في القرآن الكريم والنحو، فيقول عنه أبو عبيدة "أعلم النّاس بالقراءات والعربيّة وأيام العرب والشعر، وكانت دفاتره ما بيته إلى السّفف²"، إذ يعتبر مرجعا يلجأ إليه النّاس في زمنه لإثراء معلوماتهم اللّغوية والأدبيّة معا، كما أنّه صنع لنفسه مكانة ومنزلة مرموقة عندهم فيقول سفيان بن عينة (ت198هـ): "رأيت النّبي صلّى الله عليه وسلّم في النّوم فقلت: يا رسول الله اختلفت عليّ القراءات فبقراءة من تأمرني؟ فقال: بقراءة أبي عمرو بن العلاء³"، وهذا خير دليل على قوّة صحّة قراءة بن العلاء وثقة لغويو عصره فيه. ومن أهمّ الذين أخذ منهم علمهم يمكن ذكر: نصر بن عاصم (ت89هـ)، يحيى بن يعمر (ت129هـ)، وعبد الله ابن كثير (ت120هـ)، أمّا أبرز من تأثروا واحتكّوا به هناك: عيسى بن عمر (ت149هـ)، يونس بن حبيب (ت182هـ)، أبو الخطاب الأخفش (ت177هـ)، الذين يعتبرون من أكثر النّاس علما وأشدّهم فصاحة⁴. ومن بين آرائه الكثيرة البارزة بذكر⁵:

- إنّ المنصوب في جملة "حبذا محمد رجلا" تمييز وليس حال،
- إهمال بني تميم لـ"ليس" في حال انتقض نفي خبرها بـ"إلا" في عبارة "ليس الطّيب إلاّ المسك" وذلك حملا على "ما" النّافية،
- تركه لصرف كلمة "سبأ" المذكورة في قوله سبحانه وتعالى: "وجئتك من سبأ بنبا يقين" كأنّه جعله اسما لقبيلة،
- "يا" المستعملة في النداء قد تردّ لمجرّد التّنبية في قول: "ياويل لك" و"ياويح لك" قال: كأنّه نبه إنسانا ثمّ جعل الويل له،
- استخدام "من" الجارة مع الظّروف وجعلها في نفس منزلة الأسماء الأخرى، فيجوز بالنّسبة له قول: "داري من خلف دارك فرسخان" وذلك قياسا على: "دارك منى فرسخان"،
- صحّة الرّفْع في الفعل المضارع الواقع بعد "أمّا" كقول: "أمّا أنت منطلقا انطلق معك"،
- أجاز اتّباع المضاف إليه في التّذكير والجمع والعاقل.

¹ - خديجة حدِيثي، المدارس النّحوية، ص59.

² - سعيد الأفغاني، من تاريخ النّحو، ص36.

³ - المرجع نفسه، ص37.

⁴ - المرجع نفسه.

⁵ - خديجة حدِيثي، المدارس النّحوية، ص60.

كانت هذه بعض الأمثلة عن آراء المازني اللّغوية الكثيرة، الذي يعتبر من أكثر العلماء ثقة وجدارة إمّا في قراءاته أو أفكاره أو علمه.

4- تجديد القواعد العربية:

لقد حظيت اللّغة العربية منذ القديم باهتمام خاص من طرف الباحثين الذين انشغلوا بوضع قواعد تبنى عليها، وإثراء مادّتها، ولكن خلف هذا التّقييد مشاكل عديدة لدى المتعلّمين نظر لصعوبة هذه القواعد وعوصها. لذا انبرى بعض العلماء إلى التّصدّي لكلّ هذه المشاكل التي جعلت الدّرس اللّغوي في موضع لا يستسيغه الدّارس، فقاموا بمحاولات مختلفة وأبحاث متنوّعة بغية تسهيل تلك القوانين، وأنفوا كتباً تحمل من البساطة ما يسهّل على متعلّمي اللّغة العربيّة الأخذ بها دون صعوبة وتقييد، وهذا كان منذ عصر النّفنين إلى غاية الرّمن الحالي، ففيما مضى كانت تلك الجهود قليلة ورغم جدّيتها إلاّ أنّها لم تبلغ المستوى المطلوب لذا لم تحظ بالاهتمام اللاّزم، عكس العصر الحديث الذي زادت فيه حدّة الشّكوى من القواعد اللّغويّة تلك لعدم التّمكّن من تعلّمها وضعف التّحصيل فيها، ما ترتّب عن ذلك تضاعف الدّراسات والمدوّنات التي ألّفت في هذا المضمار، وكلّ هذا تولّد عنه عدد كبير من المصطلحات والتي تدخل ضمن الحقل التّيسيري الواحد أهمّها: الإحياء، التّبسيط، الإصلاح، التّيسير والتّجديد، والتي سيقف البحث على شرحها والتّفصيل فيها.

4-1- محاولات القدامى التّيسيريّة:

لقد كان للّغويين القدامى أثر كبير في محاولات تبسيط وإصلاح النّحو، وبالرّغم من كون جهودهم لن تبرز في السّاحة اللّغويّة بالصّورة التي تستحقّها إلاّ أنّها تبقى النّواة الأساسيّة للحركات التّيسيريّة الحديثة، ومن أهمّ هذه المحاولات:

أ- مختصرات لمعالجة ظاهرة الإطناب والاسهاب اللّذان أصابا كتب النّحو وتسهيل تعليم القواعد العربيّة على التّلاميذ¹:

- مقدّمة خلف الأحمر (ت180هـ)،

- مختصر في النّحو للكسائي (ت189هـ)،

- مختصر في النّحو لأبي محمد يحيى بن المبارك المعروف باليزيدي (ت202هـ)،

¹ - صادق فوزي دبّاس، "جهود علماء العربيّة في تيسير النّحو وتجديده"، مجلة القادسيّة في الآداب والعلوم التّربويّة، بغداد: 2008م، ع2-1، ص87.

- مختصر نحو المتعلّمين للجرمي (225هـ)،
 - مختصر النّحو لأبي سعدان الضّرير (ت321هـ)،
 - المدخل إلى علم النّحو للمفضّل بن سلمة (ت1864هـ)،
 - كتاب المختصر لأبي موسى بن محمّد الحامض (ت317هـ)،
 - الموجز لأبي السّراج (ت316هـ)،
 - المختصر لابن شقير (ت320هـ)،
 - الجمل للزجاجي (ت337هـ)،
 - النّفاحة لابن النّحاس (ت337هـ)،
 - الأوّليات في النّحو لأبي علي النّحوي (377هـ)،
 - الإيجاز في النّحو للرماني (ت384هـ)،
 - الأتمودج للزمخشري (ت538هـ)،
 - الأجرومية لابن أجيروم المغربي (ت723هـ).
- ب- مؤلفات نحوية ألّفت لخدمة كتاب "الكتاب" لسيبويه وتعويض نقاط ضعفه، وأبرزها¹:
- تنقيح الألباب في شرح غوامض الكتاب لابن خروف (ت609هـ)،
 - شرح عيون كتاب سيبويه لنصر بن هارون القرطبي (401هـ)،
 - شرح كتاب سيبويه لعلي بن عيسى الرماني (ت384هـ)،
 - شرح كتاب سيبويه للحسن بن عبد الله السيرافي (ت368هـ)،
 - شرح كتاب للقاسم بن علي الأنصاري المشهور بالصّفار (ت630هـ)،
 - كتاب نقض ابن ولادّ على ردّ المبرّد على سيبويه في الكتاب لأحمد محمد بن ولادّ النّحوي (ت332هـ)،
 - النّكت في تيسير كتاب سيبويه ليوسف بن سليمان الشمنثري (ت476هـ).
- ت- محاولات انصبّت على نقد مناهج النّحاة على نحو:

¹ - محمد كاظم البكاء، منهج كتاب سيبويه في التّقويم النّحوي، ط1. بغداد: 1989م، دار الشؤون النّقافية العامة، آفاق عربية، ص458.

- ابن ولّاد المصري (ت232هـ): الذي نادى بإلغاء القياس أين اعتبر أنّه "لا يصحّ الطّعن على العربي أو رمية باللّحن أو الخطأ أو تقديم القياس النّظري على العادة المسموعة"¹.
- ويقصد من هذا أنّه من الضّرورة الوقوف عند المسموع عن العرب ولا يجب طعن أو تصحيح ما تقوّه به العرب على أساس القياس النّظري "كما هاجم أيضا كلّ من التّأويل والتّقدير والحذف والإضمار"².
- كتاب "التّفاحة" لأبي جعفر النّحاس (ت338هـ): الذي حرص على أن يكون بمنأى عن التّعليّلات والتّأويلات وابتعد عن التّقدير والأبواب الغير العملية³.
- "رسالة الغفران" لأبي العلاء المعريّ (ت449هـ): الذي أعلن فيه حربا على أصحاب المنطق الصّوري، كما أنّه حاول فيه تخليص النّحو العربي ممّا علق به من تعسّف وتكلف وتألّف⁴.
- "الحيوان" للجاحظ: فهو كان أوّل من اعترف بصعوبة كتب النّحو على الرّغم من علمه اللّامحدود وثقافته العظمى، إذ روي في كتابه هذا: "قلت لأبي الحسن الأخفش: أنت أعلم النّاس بالنّحو فلم لا تجعل كتبك مفهومة كلّها، وما بالنّا نفهم بعضها ولا نفهم أكثرها، وما بالك تقدّم بعض العويص وتؤخّر بعض المفهوم. قال: أنا رجل لم أضع كتبني هذه لله، وليست هي من كتب الدّين، ولو وضعتها هذا الوضع الذي تدعوني إليه، قلت حاجتهم إليّ فيها، وإنّما كانت غاييتي المنالة... وإنّما قد كسبت بهذا التّدبير، إذ كنتُ إلى التّكسّب ذهبتُ"⁵.
- فالجاحظ هنا اعترف بصعوبة فهم كتب النّحو رغم كونه عالما كبيرا في اللّغة العربيّة وعلومها، فما البال للدارسين الغير النّاطقين بالعربيّة ذلك أصعب بكثير وشبه مستحيل.

4-2- ثورة "ابن مضاء القرطبي" التّيسيريّة:

ابن مضاء القرطبي (ت592هـ) هو أبو العباس أحمد بن عبد الرّحمان بن محمّد بن مضاء اللّحمي، أصله من قرطبة، لذا يلقب بالقرطبي، هو من أكبر محدثي وفقهاء المغرب العربي في عصره، تبنّى النّزعة الظّاهريّة في عرض آراءه وأفكاره النّحويّة، له ثلاثة كتب في المجال النّحوي الأوّل هو

¹- أحمد مختار عمر، دعوات الاصلاح للنّحو العربي قبل ابن مضاء، مجلة الأزهر، القاهرة: 2020م، ص516.

²- المرجع نفسه، ص516-517، بتصرف.

³- المرجع نفسه، ص517-518.

⁴- المرجع نفسه، ص517-519.

⁵- ياسين ابو الهيجاء، مظاهر التجديد النّحوي لدى مجمع اللّغة العربية في القاهرة حتّى عام 1983، د.ط. عمان: 2008،

علم الكتب الحديث، د.ج، ص219.

(المشرق في النّحو) أمّا الثّاني فسّمّاه (تنزيه القرآن عمّا لا يليق بالبيان)، أمّا الثّالث فعنوانه (الرّد على النّحاة)¹؛ الذي يعتبر ثورة مباشرة على النّحاة ونحوهم، فأهمّ ركيزة ارتكزت عليها معظم محاولات تيسير النّحو المعاصرة هي آراء ابن مضاء القرطبي في كتابه الثّالث هذا، الذي لم يحظ تقريبا بأيّ اهتمام خلال الفترة التي أُلّف فيها وحتىّ خلال القرون التي تلت تلك الحقبة، فقد بقيت تلك الآراء منسيّة إلى غاية 1947م حين قام شوقي ضيف بتحقيقه وإخراجه إلى القارئ العربي وقد سار ابن مضاء على خطى أستاذه ابن حزم (ت456هـ) الذي هاجم كلّ الأدوات المنهجية التي اعتمد عليها المفسّرون والفقهاء: "من خلال إعادة بناء المعنى الفعلي للنّص القرآني لكي يكتشفوا ماذا قصد الله تعالى في أوامره ونواهيه"².

ولقد ثار ابن مضاء على ثلاثة مبادئ أساسية في الدّرس النّحوي، هي: مبدأ العامل، مبدأ الإضمار والتّقدير، ونظرية القياس النّحوي³.

أ- **إلغاء نظرية العامل**: تعتبر هذه النظرية من أهمّ الأسس التي قامت عليها نظرية النّحو العربي منذ عهد الخليل وسيبويه واتباعها. "إذ يعتبر العامل عند هؤلاء سبب وعلّة كلّ الظواهر النّحوية، وهناك آخرون أمثال ابن جني يرى أنّه لا عمل له بتاتا، غير أنّ وجوده من الضّروريات للتّمهيد للعامل الحقيقي الذي بالنّسبة له هو المتكلم"⁴. لكن ابن مضاء رفض هذه الفكرة جملة وتفصيلا وسعى إلى إلغائها، من خلال كتابه "الرّد على النّحاة"، ويقول في ذلك: "قصدي في هذا الكتاب أن أحذف من النّحو ما يستغنى النّحو عنه، وأنّبه على ما أجمعوا على الخطأ فيه، فمن ذلك ادّعاؤهم أنّ التّصيب والخفض والجزم لا يكون إلّا بعامل لفظي ويعامل معنوي"⁵؛ فهو هنا يؤكّد موقفه المعارض اتّجاه فكرة العامل التي أسس عليها النّحاة أصولهم. وقد حاول أن يدعم رأيه بكلام "ابن جني" حين قال في كتابه الخصائص: "وأما في الحقيقة ومحصول الحديث، فالعمل من الرّفْع والنّصب والجرّ والجزم، وإنّما هو للمتكلّم نفسه لا شيء غيره"⁶، فهنا حاول القرطبي أن ينفذ القارئ بأن ابن جني من النّحاة الرّافضين النظرية العامل كما يتّضح

¹ - ابن مضاء القرطبي، الرّد على النّحاة، نشره وحققه: شوقي ضيف، ط1. القاهرة: 1947م، ص ص 9-12، بتصرف.

² - روي هاريس وتوليت جي تيلر، أعلام الفكر اللّغوي، تر: أحمد شاكر الكلابي، ط1. طرابلس: 2004، دار الكتب الجديدة المتّحدة، ج3، ص202، بتصرف.

³ - المرجع نفسه، ص204.

⁴ - محمد خير الحلواني، أصول النّحو العربي، ص235-236، ينظر: ابن جني الخصائص، ط1. ص109-110، بتصرف.

⁵ - ابن مضاء القرطبي، الرّد على النّحاة، ص76.

⁶ - ابن جني، الخصائص، تح: محمد علي النّجار، د.ط القاهرة: د.ت، دار الكتب المصرية، ج1، ص109.

في قوله الذي احتجّ به، ولكن في حقيقة الأمر ومن خلال دراسة كتب ابن جني سيلاحظ غير ذلك إذ أنّه في عدّة مواضع من كتبه أيّد العامل وأنّه من خلاله يتمّ تعليل وتفسير الحالات النّحوية، كقوله بخصوص رفع كلّ من المبتدأ والخبر: "وإنّما نقول في رفع المبتدأ أنّه إنّما وجب ذلك له من حيث كان مسندا إليه عاريا من العوامل اللفظية قبله فيه، وليس كذلك الفاعل لأنّه وإن كان مسندا إليه فإنّ قبله عاملا لفظيا قد عمل فيه¹"، فهو هنا يقصد أنّ المبتدأ يرفع بعامل معنوي وهو الابتداء وليس كالفاعل الذي يحتاج إلى عامل لفظي عمل فيه. كما يقول في يقول في موضع آخر: "أنّ الأسماء لا تنتصب إلّا بناصب لفظي فكذلك الأفعال لا تنتصب إلّا بناصب لفظي، فأما من ادّعى انتصاب شيء من الكلام بالمعنى دون اللفظ، فقد وجب عليه من إقامة الدّلالة على ذلك²".

ومن خلال هذين القولين يتّضح أنّ ابن جنيّ يعتبر العامل من أساسيات الدّرس اللّغوي ولا يمكن الاستغناء عنه.

ويواصل ابن مضاء نقده للعامل بحجج كثيرة، مثل قوله: "إنّ القول بذلك قولاً وشرعاً ولا يقول به أحد من العقلاء لمعان يطول ذكرها في ما المقصد إيجازه، منها إنّ شرط الفاعل أن يكون موجوداً حينما يفعل فعله، ولا يحدث الإعراب في ما في قولنا (إنّ زيدا) إلّا بعد عدم إن³".

ويقصد بدليله هذا أنّه لا ينطق بكلمة "زيدا" حتّى تكون "إنّ" قد ذهب ولم يبق أثرها وكان ينبغي أن تكون موجودة، حتّى يمكن أن تعمل في "زيد" عملها الذي يزعمه النّحاة. كما صرّح أيضا أنّ: "الفاعل، عند القائلين به، إمّا أن يفعل بإرادة كالحَيوان، وإمّا أن يفعل بالطّبع كما تحرق النّار ويبرد الماء، ولا الفاعل إلّا الله عند أهل الحق... وأمّا العوامل النّحويّة فلم يقل بعملها عاقل، لا ألفاظها ولا معانيها، إنّها لا تفعل بإرادة إلّا بالطّبع⁴"، وحجّته هذه تدلّ على أنّ ابن مضاء يعتبر أنّ القول بدور العامل ليس إلّا جنون من صاحبه، وأنّ العاقل لم يقل ذلك أبداً. وقام أيضا بالبحث عن العوامل المحذوفة ليؤكّد رأيه أكثر، "كتقديرهم في باب النّداء كالمنادى في مثال: (يا عبد الله) هو مفعول به لفعل محذوف تقديره (ادعو) فقيل: (أدعو عبد الله) لتغيّر مدلول الكلام من إنشائي إلى خبري⁵". وتحدّث أيضا في مؤلّفه عمّا

¹ - ابن جني، الخصائص، ص 196.

² - ابن جني، سر صناعة الإعراب، تح: حسن هنداي، ط 1. دمشق: 1985، ج 1، ص 276.

³ - ابن مضاء القرطبي، الرد على النّحاة، ص 77-78.

⁴ - المرجع نفسه، ص 78.

⁵ - ابن مضاء القرطبي، الرد على النّحاة، ص 79-80، بتصرف.

يحاول النّحاة تأكيده في موضوع المجرورات التي تقع أخبارا أو صفات أو أحوال... وغير ذلك، إذ سعى على نفس المنوال لإثبات مدى فساد نظرية العامل مصوّرا ما تصطحبه معها من تقديرات وتأويلات لا مسوّغ لها إلاّ التّحمّل¹.

إنّ هجومه هذا العامل لا يعني أنّه قد دعا إلى إلغاء النّحو، كون هذا الأخير أكثر ثباتا من يهدمه تحطيم نظرية العامل، فالغاؤها هو عبارة عن تيسير وتسهيل للنّحو لا أقلّ ولا أكثر². وهذا الجهد لم يذهب سدى فهو الذي فتح الباب أمام محاولات التّيسير الحديثة التي قام بها المحدثين.

ب- إلغاء مبدأ الإضمار والتّقدير: لقد ثار ابن مضاء على هذا المبدأ كون فكرة التّقدير لا تتماشى مع الفكر الظاهري الذي تتبناه في عمله التّيسيري، وقد ميّز بين ثلاثة من المحذوفات هي³:

1. محذوف لا يتمّ الكلام إلاّ به حذف لعلم المخاطب به. نحو: لمن يعطي النّاس: (زيدا) أي "أعط زيدا" فتحذفه وهو المراد وإنّ أظهر تمّ الكلام به.

2. محذوف لا حاجة بالقول إليه، بل هو تام بدونه وإنّ ظهر كان عيبا، مثل: (أزيد ضربته) قالوا إنّه مفعول به لفعل مضمر تقديره (أضربت زيدا).

3. مضمر إذا أظهر تغيّر الكلام عمّا كان عليه قبل إظهاره، كقول (يا عبد الله) وعندهم هو منصوب بفعل منصوب بفعل مضمر تقديره (أدعو عبد الله) وإذا أظهر تغيّر المعنى كليّا وصار النّداء خبرا.

إنّ ابن مضاء القرطبي هنا قد أبدى رفضه للإضمار إلاّ في الحالة الأولى باعتبار غايته البلاغة والإيجاز، بينما في الحالتين الثانية والثالثة فلم يقبل لا الإضمار ولا التّقدير لعدم وجود دليل عليها.

وأكثر تخوّف انتابه في هذه المسألة هو ما يتعلّق بالقرآن الكريم، إذ يحملان نوعا من الخطورة عندما يكون الأمر له علاقة بالنّص القرآني، فالشّخص كثيرا ما يميل إلى تقدير قصد الكلام المقدّس ويقوم بإدخال عناصر أخرى ما يؤدّي في الكثير من المواضع إلى تشويش المعنى الظاهر الذي يحمله والذي يستطيع كلّ عربي أن يدرك ويستوعبه مباشرة⁴. وهنا وقف ابن مضاء على خطورة التّقدير والإضمار على الكتاب المقدّس كونه يمسّ المعنى الذي يحمله بشكل مباشر.

¹ - ابن مضاء القرطبي، الرد على النّحاة، ص 78-82، بتصرف.

² - المرجع نفسه، ص 45، بتصرف.

³ - المرجع نفسه، ص 79-80.

⁴ - روي هاريس وتوليت جي تيلر، أعلام الفكر اللّغوي، ص 207، بتصرف.

ت- إغاء القياس: يعدّ القياس من أهمّ الآليات الذهنية التي استعملها الإنسان منذ القديم إلى غاية الوقت الزّاهن من أجل الوصول إلى الحقيقة أو تأكيدها. ويعرّفه الأنباري أنّه: "حمل فرع على أصل بعلة وإجراء حكم الأصل على الفرع"¹، ويقصد بتعريفه هذا أنّ القياس هو حمل المثال على الشّاهد بشرط اشتراكهما في نفس العلة وهذا حتّى تكون معاملة الأوّل هي نفسها مع الثاني. وقد اهتمّ النّحاة بالقياس بشكل غير محدود، إذ يقول ابن جني: "مسألة واحدة من القياس أنبل وأنبه من كتاب لغة عيون النّاس"²، فهو هنا فضّل مسألة القياس على كافة المسائل الأخرى التي تقوم عليها اللّغة العربية، ويقول في يقول في ذلك أيضاً الفارسي (ت987هـ): "لأنّ أخطئ في خمسين مسألة في اللّغة ولا أخطئ في واحدة من القياس"³، أي أنّ القياس بالنّسبة له قضية مقدّسة لا مجال للحنّ فيها. وهذين القولين خير دليل على المكانة المرموقة التي يحلّها القياس لدى علماء العربية وخاصّة النّحاة.

ولكنّ ابن مضاء يرفض فكرة القياس، إذ يرى أنّ: "العرب أمة حكيمة، فكيف تشبّه بشيء وتحكّم عليه بحكمة، وعلّة حكم الأصل غير موجودة في الفرع، وإذا فعل واحد من النّحويين ذلك جهل، ولم يقبل قوله، فلمّ ينسب إلى العرب ما يجهل بعضهم بعضاً"⁴.

ومن أمثلة القياس التي أعابها:

- سقوط التّنوين في الفعل على سقوطه في الاسم الممنوع من الصرف وذلك لعلّة الثقل، حيث يقول بخصوص هذا: "والوجه عندهم لسقوط التّنوين من الفعل ثقله، وثقله لأنّ الاسم أكثر استعمالاً منه، والشّيء إذا عاوده اللّسان خفّ، وإذا قلّ استعماله ثقله، وهذه الأسماء غيرها أكثر استعمالاً منها، فنقلت، فمنعت ما منع الفعل من التّنوين وصار الجرّ تبعاً له. وليس يحتاج من هذا إلّا إلى معرفة تلك العلل التي تلازم عدم الانصراف وأمّا غير ذلك ففضل هذا لو كان بيننا فكيف به وهو ما هو في الضّعف، لأنّه ادّعاء أنّ العرب أرادته، ولا دليل على ذلك، إلّا سقوط التّنوين، وعدم الخفض"⁵.
- باب التّنازع الذي يقول فيه: "فإن قيل: النّحويين لم يذكروا في هذا الباب إلّا الفاعل والمفعول والمجرور، وهنا معمولات كثيرة على مذهبهم كالمصادر والظّروف والأحوال والمفعولات من أجلها،

¹- ابن الأنباري، لمع الأدلّة في أصول النّحو، تح: سعيد الأفغاني، د.ط. دمشق: 1987، ص39.

²- محمد عيد، أصول النّحو العربي في نظر النّحاة ورأي ابن مضاء وضوء علم اللّغة الحديث، ط4. القاهرة: 1989، عالم الكتاب، ص69.

³- المرجع نفسه.

⁴- ابن مضاء، الرّد على النّحاة، ص134.

⁵- المرجع نفسه، ص136.

والمفعولات معها والتّمييزات، فهل تُقاس هذه المفعولات بها أولاً تُقاس؟... والأظهر أن يُقاس شيء من هذه على المسموع إلا أن يسمع في هذه كما يسمع في تلك¹.

من خلال هذين المثالين يتّضح أنّ فكرة ابن مضاء عن القياس مرتبطة بفكرته عن التّصوص اللّغويّة بحيث إذا وجدت نصوص تدعمه فإنّ الأخذ به جائز به جائز ولكن هناك نصوص تؤيّد فهي مرفوضة². وهذا يدلّ على أنّ ابن مضاء قد ألغى كلياً الجانب العقلي في موضوع القياس واعتمد فقط على التّقل وهذا تعبا للمنهج الظاهر الذي تبناه.

ث-إلغاء التّمارين غير العمليّة: لقد دعا ابن مضاء إلى إلغاء التّطبيقات التي لا تقيد النّحو العربي ومن أمثلته عن هذا: "ومما ينبغي أن يسقط من النّحو (ابن من كذا مثال كذا) كقولهم (ابن من البيع) مثال (فعل) فيقول: ((بُوع) أصله (بُيع) فيبدّل من الياء واو لانضمام ما قبلها، لأنّ النّطق بها ثقيل، كما قالت العرب: (مُوقِنٌ ومُوسِرٌ) أصل موقن، لأنّه اسم فاعل، وفعله أيقن، ففاء الفعل منه ياء. وكذلك ينبغي أن يكون اسم الفاعل منه فاؤه ياء³".

وقد نقد القرطبي هذا المثال وغيره من الأمثلة المشابهة له، ويثبت موقفه الرافض لهذه التّمارين التي تعيق سيرورة الدّرس اللّغوي.

انطلاقاً من سبق يمكن القول أنّ ابن مضاء صاحب المذهب الظاهري في النّحو، وهو أب أعظم وأكبر محاولة تيسيريّة من محاولات السّابقين، أعلن ثورة على معالجات النّحويين ومناهجهم في دراسة النّحو حيث أظهر تبرّمه وضجره إزاء عللهم وقياسهم وتمارينهم التي لا فائدة منها ووصمها بالفساد والخطأ.

4-3- محاولات المجدّدين التّيسيرية:

لقد تميّزت الحركة في هذه الحقبة بظهور مصطلحات حديثة متنوّعة وهي: الإحياء، التّيسير والذي أدمجه العلماء مع مصطلحي الإصلاح والتّبسيط كونهما يدلّان على نفس المعنى. والتّجديد، وكلّها تدور في حقل مفهومي واحد ألا وهو التّيسير اللّغوي. وكلّ حركة من هذه تدلّ على منهج وأسلوب تسهيل المعاصرين للدّرس اللّغوي، ويمكن تلخيص هذه الطّرائق وأصحابها في الآتي:

¹- ابن مضاء القرطبي، الرد على النّحاة، ص 100-101.

²- محمد عيد، أصول النّحو العربي، ص 48، بتصرف.

³- ابن مضاء القرطبي، الرد على النّحاة، ص 161.

أ- **الإحياء**: يقصد منه لغة: هو مصدر للفعل أحيا، "يقال: حيّ يحيا فهو حيّ، ولقوم حسّنت حالتهم، والطّريق: استبان، وأحيا الله فلانا: جعله حياّ وأحيا الله الأرض: أخرج فيها الثّبات، وفي التّنزيل العزيز: "فسقناه إلى بلد ميّت فأحيينا به الأرض بعد موتها"¹. ويفهم من هذا أنّ المعنى اللّغوي لمصطلح "الإحياء" يدلّ على النّماء والخصوبة والانتقال إلى ما هو أفضل.

- أمّا من النّاحية الاصطلاحية فهو مرتبط بشكل مباشر بمحاولة إبراهيم مصطفى في إحياء النّحو، أين ورد هذا المصطلح في كتابه المعنون (إحياء النّحو). والمقصود بهذا المصطلح حسب الكاتب هو التّجديد للوظائف الدّلالية لحركات الإعراب في الأسماء إذ حاول أن يعيد تبويب النّحو. فاستغنى عن بعض أبوابه، وأدمج عددا منها في بعضها، وقدم فهما جديدا لبعض ثالث²، وهذا ما يوضّحه من خلال قوله: "وأن ارفع على المتعلّمين إصر هذا النّحو، وابدلهم منه أصولا سهلة يسيرة تقرّهم من العربيّة وتهدّهم إلى خطّ الفقه بأساليبها"³.

ويدلّ هذا التّعريف على أنّ الإحياء هو ترك الأسس النّظرية القديمة التي كان النّحو قائما عليها وتعويضها بنظريات جديدة ذات أبعاد لغويّة أخرى سهلة يسيرة وهذه تمثّل قضية تربويّة تعليميّة يختصّ بها الجانب التّربوي على وجه الخصوص.

• **إبراهيم مصطفى**: هو باحث لغوي مصري توفي 1962م، أحدث ثورة في مجال اللّغة أين قام بإحياء النّحو وتيسيره، ونقد اللّغويين القدماء في بعض المسائل. له عدّة مؤلفات في هذا المجال أبرزها: كتاب "إحياء النّحو" وهو أوّل كتاب ظهر في العالم العربي في العصر الحديث لنقد نظريات النّحاة التّقليدية⁴. سعى المؤلّف فيه إلى رفع قيود القواعد النّحوية القديمة على المتعلّمين وتعويضهم بأصول وقوانين سهلة تجعل العلاقة بينهم وبين العربيّة قويّة وتهدّهم خطّا من الفقه بأساليبها⁵. وأقام سعيه هذا على قاعدتين أساسيتين هما:

الأولى: المطالبة بتوسيع الدّرس النّحوي، فيشمل دراسة أحكام نظم الكلام وأسرار تأليف العبارات

¹ - مجمع اللّغة العربيّة بالقاهرة، المعجم الوسيط، ط4. القاهرة: 2004، مكتبة الشّروق الدّولية، مادة (ح ي ي)، ص213.

² - إبراهيم عمر سليمان زبيدة، حركة تجديد النّحو وتيسيره في العصر الحديث -دراسة تحليليّة تقويميّة-، ط1. طرابلس: 2004، دراسة الكتب الوطنيّة، ص18.

³ - إبراهيم مصطفى، إحياء النّحو، ط2. القاهرة: 1992، ص أ.

⁴ - عبد الرّحمان أيوب، دراسات نقدية في النّحو العربي، د.ط. الكويت: 2013، مؤسسة الصّباح، ص ج.

⁵ - إبراهيم مصطفى، إحياء النّحو، دار الآفاق العربيّة، د.ط. القاهرة: 2003، ص أ، بتصرف.

باعتبار النحو هو قانون تأليف الكلام، وهذا ما يتجلى في قوله: "فإن النحو - كما ترى وكما يجب أن يكون - هو قانون تأليف الكلام وبيان لكل ما يجب أن تكون عليه الكلمة في الجملة والجملة مع الجمل، حتى تتسق العبارة ويمكن أن تؤدي معناها¹"، فهو هنا يدعو إلى توسيع مجال النحو ليشمل بنية الكلمة داخل الجملة، وكيفية تأليف الكلام ليكون متجانس بين بعضه البعض ويشكّل معنى مفهوماً.

الثانية: الدعوة إلى إلغاء نظرية العامل واستئصالها من جذورها واعتماد أصول جديدة يُبنى عليها النحو من جديد والمتمثلة في:

- ليس الإعراب حكماً لفظياً خالصاً بل هو إشارة إلى معنى لأنّ ما يفيد هو السؤال عم معاني الحركات وليس عن عاملها².
- الحركات أعلام لمعان باستثناء الفتحة التي هي في العربية العامية (اللغة العربية) نظير السكون³.
- التثوين علامة التثكير وعدمه علامة التعريف ولا داعي إلى البحث عن العلل الموجبة لعدم الصّرف وعن الممنوع من الصّرف لعلّة والممنوع لعلّتين.
- الثّوابع تابعان هما النّعت والبدل ويدخل فيها باقي الأبواب.
- ليس هناك علامات أصلية وعلامات فرعية⁴.

لقد نال هذا المؤلف استحسان وإعجاب العديد من الدّارسين في مقدّماتهم طه حسين (ت1973م) الذي كتب مقدّمة طويلة للكتاب أشاد فيها بجهد إبراهيم مصطفى وأعجب بأرائه حيث يقول في نهايتها: "فالكتاب كما ترى يحيي النحو لأنّه يصلحه ويحيي النحو لأنّه ينهه إليه من اطمأنّوا إلى الغفلة عنه وحسبك بهذا إحياء"⁵.

بالإضافة إلى العديد من اللّغويين الآخرين الذين أدلوا بإعجابهم به أمثال: مهدي المخزومي، إبراهيم السّامرائي، تمام حسان. ولكن رغم كلّ هذا المديح الذي تلقّته جلّ تلك المحاولات إلاّ أنّها تعرضت لنقد لاذع من طرف علماء العربية الذين بيّنوا مواضع الخلل والنقص الموجودين في الأصول والمبادئ التي

¹ - إبراهيم مصطفى، إحياء النحو، ص1.

² - المرجع نفسه، ص41-42.

³ - المرجع نفسه، ص129-130.

⁴ - المرجع نفسه، ص112-113.

⁵ - المرجع نفسه، ص أ.

تبنّاها إبراهيم مصطفى. ومن بين هؤلاء النقاد هناك محمد الخضر حسين الذي يقف مستنكرا من حكم الدكتور إبراهيم فيقول: "وإن لم يكن المؤلف قد اطّلع على ما كتبه في شرح هذا التعريف وهو من المؤلفات القريبة المنال أفلا يكون لقارئ كتابه حقّ في عتبه عتبا جميلا على عدم صرف شيء من وقته في الرجوع إلى أمثال هذه المؤلفات قبل أن تتعرّض لتتطّئة علماء قضا في استنباط قواعد اللغة والفقّه في أسرارها وقتا طويلا¹".

لقد وُضع هذا الكتاب رغبة من مؤلّفه تغيير المنهج الذي ران عنه النّحاة إذ أنّهم سلكوا منهاجا شكليًا في دراسة النّحو واستبعدوا كلّ ما له صلة بالمعنى، يقول: "أمّا علامات الإعراب فقلّان ترى لاختلافها أثرا في تصوير المعنى وقلّ أن يشعرنا النّحاة بفرق بين أن تنصب أو ترفع، ولو أنّه تبع هذا التّبديل في الإعراب تبديل في المعنى، لكان ذلك هو الحكم بين النّحاة فيما اختلفوا فيه، وكان هو الهادي للمتكلّم أن يتبع في كلامه وجهها من الإعراب"².

ب- التّيسير: وماشابهه من مصطلحات مثل: التّبسيط، والإصلاح والتّهذيب. فمن النّاحية اللّغوية فهي مختلفة فيما بينها بحيث:

- التّيسير: جاء في معجم الوسيط في مادة (يسر) ما يلي: "يسر الشّيء: يبسر يسرا: سهل وأمكن"³. بمعنى تسهيل الشّيء.
- التّبسيط: جاء في مادة (بسط): "بسط الشّيء: جعلها بسيطا لا تعقيد فيه"⁴، أي جعل الشّيء المعقد بسيطا سهلا خاليا من الغموض والتّكلف.
- الإصلاح: جاء في مادة (صلح) من معجم الوسيط: "أصلح في عمله الأمر: أتى بما هو صالح ونافع، وأصلح الشّيء: أزال فسادَه"⁵، أي جعل الأمر أو الشّيء أو المتن والآجن ناجع ومُجدٍ له فائدة.
- التّهذيب: ورد في مادة (هذب) من نفس المعجم: "هذب الكلام: خلصه مما يشينه عند البلغاء، ويقال هذب الكتاب، لخصه وحذف ما فيه من إضافات مقحمة أو غير لازمة"⁶. ويقصد منه غرلة الشّيء والتّخلّص من الزوائد الضّارة التي ليس لها فائدة.

¹ - محمد الخضر حسين، دراسات في اللغة العربية وتاريخها، ضبطه: علي رضا الحسيني، د.ط. القاهرة: 2000، ص182.

² - إبراهيم مصطفى، إحياء النّحو، ص هـ.

³ - مجمع اللغة العربيّة، المعجم الوسيط، ط3. ج1، ص1104.

⁴ - المرجع نفسه، ص58.

⁵ - المرجع نفسه، مادة (صلح)، ص476.

⁶ - المرجع نفسه، مادة (هذب)، ص58.

أمّا من النّاحية الاصطلاحية فجميع هذه المصطلحات تدلّ على مفهوم واحد وهو: "معالجة المنهج النحوي بأكمله، بما يلائم طبيعة دراسته اللغوية وتقريب طرائق وأساليب التدريس بما يتفق وذهن المتعلم البسيط"¹، أي جعلها مبسطة من كلتا الناحيتين المنهجية والتطبيقية.

وأهمّ عالم لغوي برز في هذا النّوع من المحاولات هو تمام حسان الذي سيذكر في الآتي.

• **تمام حسان (1918م - 2011م):** هو لغوي ونحوي مصري، عُرف باجتهاداته اللغوية التي خالف فيها النّحاة القدامى. له أربعة تآليف إثنان منها في عرض أصول اللسانيات الوصفية وهما: "مناهج البحث في اللّغة" الذي يعتبر أول كتاب يقدّم بالعربية المفاهيم الأساسية لعلم اللسانيات بعد نضجه المنهجي، وكتاب "اللّغة بين المعيارية والوصفية"، وعمل مكمل للكتاب الأول. أمّا الكتابان الآخران خصّصهما لدراسة التّراث وتقييمه وهما: "اللّغة العربيّة معناها ومبناها" وهو أشهر وأهمّ كتبه، والكتاب الآخر هو "الأصول" الذي عدل فيه صاحبه من بعض مواقفه في كتبه الثلاثة الأولى².

كما أنّ تمام حسان من أكثر اللّغويين العرب وعيا بضرورة بناء الدّراسات اللّغوية على أسس خاصّة بها، وقد قال عنه عز الدين المجذوب: "... وإن لم يكن أول اللّغويين العرب دون وعي أنّ التيسير النّحوي العربي وإصلاحه لا يمكن أن يتمّ دون التّفكير في إعادة النّظر في منهج النّحو العربي"³. وتقوم أفكاره التيسيرية على استنباط منهج للنّحو العربي يحمل آثار المذهب البنيوي وما تعلّمه من اللسانيات، وتتمثّل أهمّ هذه الأفكار في:

1. التّقسيم السّباعي للكلمات العربية⁴: حيث اهتدى تمام حسان إلى تقسيم بديل للتّقسيم المألوف للكلمات العربيّة، وخاصّة أنّه كان سابقا متأثرا بالتّصنيف الرّباعي الذي جاء به إبراهيم أنيس: المتمثّل في: اسم وفعل وضمير وأداة. وتتجلّى تجزئته هذه في سبعة أقسام هي⁵:

- القسم الأوّل: الاسم،

- القسم الثّاني: الصّفة،

¹ - نعمة رحيم العزاوي، في حركة تجديد النحو وتيسيره في العصر الحديث، د.ط. بغداد: 1995م، دار الشؤون الثقافية العامة، ص72، بتصرف.

² - عز الدين المجذوب، المنوال النّحوي العربي، ط1. تونس: 1998م، دار محمد علي الحامي، ص37-38-39، بتصرف.

³ - المرجع نفسه، ص39.

⁴ - تمام حسان، مقالات في اللّغة العربية والأدب، د.ط. القاهرة: 2006م، عالم الكتب، ج1، ص79.

⁵ - عز الدين مجذوب، منوال النّحو العربي، ص199-202، بتصرف.

- القسم الثّالث: الفعل،
- القسم الرّابع: الضّمير،
- القسم الخامس: الخوالف،
- القسم السّادس: الظرف،
- القسم السّابع: الأداة،

وقد كان لهذا صدى كبير لدى الباحثين كونه قد بناه على أسس نظرية لم تكن موجودة عند سابقه.

2. تقسيمه للمعنى إلى وظيفي، معجمي ودلالي¹: ويرى أنّ وضوح المعنى الوظيفي كافٍ لتحليل أي جملة وإعرابها دون اللّجوء إلى فهم دلالاته المعجمية². وقدّم مثالا على هذا حيث لا يحمل أي مفهوم معجمي أين قال³:

قاص التّجبن شجالة بتريسه الـ فاحني فلم يستف بطاسية البرن

فأيّ قارئ لهذا البيت يشرع بإعرابه بالرّغم منة أن لا تفسير له كون معناه الوظيفي واف لذلك.

3. رفضه القاطع للعامل: حيث قال: "ويرى هذا المنهج الذي بين يدينا أنّها أكبر خدعة جازت على ذكاء النّحاة العرب على مرّ العصور"⁴، فهو هنا قد اعتبر نظرية العامل مجرد فكرة وهمية صنعها النّحاة وقدسوها وجعلوها أساس صنيعهم اللّغوي وهي لم تكن سوى زيارة في التّكلف واللّغو، وأنّه فكرة عقيمة غير قادرة على تفسير جميع المعاني النّحوية الموجودة.

4. تقديمه لبدل محلّ العامل ويحطّمها والمتمنّلة في القرائن النّحوية التي فصلّ فيها في كتابه "اللغة العربية معناها ومبناها"، وقد قسّمها إلى قسمين هما:

أ- القرائن اللفظية: ويسمونها الأفعال المساعدة وتتمثّل في: العلامة الاعرابية، الرتبة، الصيغة أوالبنية، المطابقة، الرّبط، الأداء، النّعمة⁵.

ب- القرائن المعنوية: وتفيد تحديد المعنوي النّحوي وهي: الاسناد، التّخصيص وهي قرينة كمعنوية كبرى تتشعب منها قرائن صغرى تتمثّل في (التّغذية، الغائية، المعية، الظرفية، التّوكيد،

¹- تمام حسان، مقالات في اللغة والأدب، ص79، بتصرف.

²- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص182، بتصرف.

³- المرجع نفسه، ص183.

⁴- تمام حسان، اجتهادات لغوية، د.ط. بيروت: 2006م، عالم العربي، ص488.

⁵- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص205، بتصرف.

التّحديد، الملبسة، الإخراج، التّفسير، المخالفة، النسبة، التّبعية). ويندرج تحتها أربع قرائن هي: (النّعت، العطف، التّوكيد، الإبدال)¹.

فتمام حسان يرى أنّ الاعتماد على هذه القرائن هو الذي يسمح بأمن اللّبس والغموض، وتوضيحا لمعنى الوظيفي النّحوي.

5. تقسيمه للزّمن إلى²:

• زمن نحوي: الذي هو الزّمن في السّياق ولا يمكن فهمه دون اعتبار فكرة الجهة، التي تعتبر نوعا من تخصيص الدّلالة في الفعل ونحو.

• زمن صرفي: هو الزّمن في الافراد أي الكلمة الواحدة دون مراعاة اللّسانيات الذي وردت فيه.

6. اعتباره لعلم البيان مقدّمة نظريّة لعلم المعجم³: فعلم البيان هو الممهّد لعلم المعجم حيث وكما هو معروف فإنّ الأوّل يدرس معاني الكلمات من جانبها النّظري بطرق متفاوتة كالمجاز والحقيقة والتّشبيه والاستعارة وغيرها، أمّا علم المعجم فهو أيضا يدرس تلك الكلمات ولكن من جانبها التّطبيقي أي من حيث طبيعتها ومعناها والعلاقات بين الكلمة الواحدة وغيرها من الكلمات.

كما اهتم أيضا بالصّورة التي تتبغى علم المعجم أن يكون عليها⁴.

7. رفضه التّام للتّعليل: أين اعتبره "بلية فلسفية ميتافيزيقية ومنطقيّة ابتلى بها النّحو العربي ولازال يبتلى⁵"، فالتّعليل من منظوره وباء لحق بالنّحو ولم يتمكّن من النّجاة منه حتّى الآن.

8. المناداة بضرورة استقلال البحث اللّغوي بخصائص تميّزه عن غيره من البحوث والاختصاصات⁶: فهو كان أوّل من دعا إلى عزل الدّراسات اللّغويّة عن الدّراسات الفلسفية وغيرها من الاختصاصات وجعلها علما قائما بذاته.

¹- تمام حسان، اللّغة العربية معناها ومبناها، ص 191.

²- تمام حسان، مقالات في اللّغة والأدب، ص 80.

³- المرجع نفسه.

⁴- المرجع نفسه، ص 80.

⁵- تمام حسان، مناهج البحث في اللّغة، ص 53.

⁶- عز الدين المجدوب، المنوال النّحوي العربي، ص 39.

9. تأديب الدّرس النّحوي¹: ويتمثّل في المزوجة بين القاعدة النّحويّة وبين الأدب الذي يتميّز بعنصر المتعة والتّشويق من خلال قصصه وأشعاره وأمثاله، وهذا يتمّ عن طريق معلم كفوء يحسنه حتّى لا يخرج عن الغاية المنشودة المتمثّلة في إفهام الدّارس للقاعدة².

بمعنى أنّ تمام حسان حاول إيجاد حلّ لترطيب الجفاف الموجود بين المتعلّم والنّحو، نظرا لما يكتسبه هذا الأخير من تصخر وضجر وجمود وعدم جذب الدّارس إليه لذا قام بإدخال عنصر التّشويق والمتعة إليه، ولكن لتحقيق هذا الامتزاج لا بدّ من أستاذ متمكن يكون على دراية تامّة بكيفية إحداث ذلك وإيصال رسالته ويستوعبها طلبته.

10. دعوته إلى الاستفادة من الوسائل التّعليميّة الحديثة أثناء تدريس الدّرس النّحوي، كالأشرطة المصوّرة برسوم متحرّكة أو الأشرطة المصوّرة للرحلات...³، فهذه الوسائل هي التي تزيد من حدّة نبعة وعنصر التّشويق.

11. التّركيز على التّدريب: الذي يعتبر من أهمّ الأساليب التي تضمن رسوخ الملكة وتطويرها، ويجزم تمام حسان أنّ انعدام التّجريب هو بيت الدّاء في ضعف مستوى المتعلّم والمعلّم معا⁴؛ أي أنّ تيسير القواعد وفهمها من طرف الدّارس دون تطبيقها فذلك يجعلها مادّة خامّة قابلة للزوال.

بعد كلّ ما تمّ التّطرّق إليه يمكن القول أنّ تمام حسان سعى على تيسير النّحو من حيث جانبيه النّظري والتّطبيقي فهو لم يقف فقط على نقد وتحليل المفاهيم النّحوية، وإبدال نظرية بنظرية أخرى كإبدال نظريّة العامل بالقرائن... وإنما تعدّى ذلك إلى اقتراحه لأساليب تعليمية جديدة تعكس استفادته واحتكاكه بمفاهيم اللسانيات النّربويّة الحديثة. وتعتبر كلّ أفكاره التّبسيطيّة التي جاء بها مصدر إلهام للباحثين والدّارسين.

ت- التّجديد: من حيث تعريفه اللّغوي هو مصدر للفعل (جَدَدَ)، فيقول فيه ابن منظور: "فحبل جَدِيد: مقطوع... ثوب جديد، وهو في معنى مجدود، يراد به حين جدّه الحائك أي قطعه. والجِدَّة نقيض البلى. وأجدّ ثوبا واستجدّه: لبسه جديد"⁵.

¹- مبروك بركات، "تيسير النّحو عند تمام حسان بين الرّؤيتين التّخصيصيّة والتّعليميّة" مجلة إشكالات في اللّغة والأدب، ع07، ماي 2015، مركز البحث العلمي والتّقني لتطوير اللّغة العربيّة، الجزائر، ص33.

²- المرجع نفسه، ص33-34، بتصرف.

³- المرجع نفسه، بتصرف.

⁴- تمام حسان، مقالات في اللّغة والأدب، ص99، بتصرف.

⁵- جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي بن أحمد ابن منظور، لسان العرب، مادة (ج د د)، ص562.

والتّجديد يقصد منه قطع الشّيء والقضاء عليه.

وورد في معاجم أخرى أن: "جديد الشّيء صيره جديدا... واستجدّ الشّيء: صار جديدا. والشّيء: استحدثه وصيّره جديدا"¹. وهذا المعنى يدلّ على التّحديث والصّيرورة والتّحوّل من حالة إلى حالة أخرى.

وأما بخصوص معناه الاصطلاحي فهو متعلّق بقضية القواعد اللّغويّة، حيث يقول حلمي خليل: "وبالتّالي أصبح من الضّروري على اللّغوي أن يخطوا لنفسه منهاجا جديدا لا يعتمد على تراث أخذ من فلسفة الإغريق وقواعد اللّغة اليونانيّة"².

ويقصد منه البحث عن الشّيء الجديد لم يسبق له وجود وهذا غير ممكن لأنّه من الصّعب هدم التّراث اللّغوي الذي تركه السّلف، ومحاولة الإتيان بغيره لأنّ ذلك يمسّ اللغة العربيّة وأصولها. ومن أهمّ اللّغويين الذين ذاع صيتهم في هذا الصّنف من المحاولات يذكر:

• **شوقي ضيف (1910-2005م):** يعدّ شوقي ضيف من الأوائل الذين فجّروا قضية القواعد

العربية ودعوا إلى ضرورة النّظر في العديد من مسّلماتها وقواعدها، وهو من أكبر المتهمّين بتجديد النّحو العربي تنظيرا وتطبيقا، حيث قام بمجهودات كثيرة توضّح مدى تتبّع لتاريخ النّحو ونظريّاته ومدارس وتبرز مدى اهتمامه بتفسير القواعد اللّغويّة وتعليمها. وأشهر هذه الدّراسات³:

1. تحقيق كتاب "الرّد على النّحاة لابن مضاء القرطبي": وتصديره بمقدمة مطولة له سنة 1947م مؤيّدا للقرطبي وداعيا لاستجابة لدعوته.

2. "تجديد النّحو" سنة 1982م،

3. "تيسير النّحو التّعليمي قديما وحديثا مع نهج تجديد" سنة 1986،

4. "تيسيرات لغوية" سنة 1990م.

وكلّ هذه الكتب تعكس منهج صاحبها ونظريّته في تجديد النّحو، والتي كانت نتيجة تأثره الشّديد بمبادئ القرطبي وتقديمه لكتابه "الرّد على النّحاة" فيقول في هذا: "ولقد كانت من محاسن المصادفات أن أعرّ على هذه الطّرفة البديعة في تلك الأوقات التي تتحقّر فيها الجهود لإصلاح النّحو العربي، إصلاحا

¹ - مجمع اللّغة العربيّة بالقاهرة، المعجم الوسيط، مادة (جدّ).

² - خليل حلمي، العربيّة وعلم اللّغة البنيوي، د.ط. القاهرة: 2000م، دار المعرفة الجامعيّة، ص 170.

³ - علاء إسماعيل الحمزاوي، موقف شوقي ضيف من الدّرس النّحوي دراسة في المنهج والتّطبيق، كلية والآداب، جامعة المنيا، ص 5-6.

ينفي عنه الرّد، ويبقي على ما ينفع النَّاس، ولذلك مهّدت بمدخل واسع تحدّثت فيه عن المؤلّف وعصره وآرائه، حتّى إذا قرعت من ذلك انتقلت أبين حاجة النّحو العربي إلى تصنيف جديد، يرفع عن النَّاس ما يفتحهم ويبهظهم في تعلّمه. ولو ألبث أن رسمت خطة هذا التّصنيف، مستهدياً بآراء ابن مضاء وأفكاره¹، فهذا يعتبر تصريح من طرف شوقي ضيف على مدى تأثره بابن مضاء ومدى رغبته في الاستفادة من آرائه التّبسيطية للقواعد النّحويّة وهذا ما جسّده في مشاريعه التّجديديّة.

وقد أقام حركته هذه على ستّة أسس، ثلاثة منها ذكرها في مقدمة "الرّد على النّحاة" بعد ذلك جعلها ستّة في كتابه "النّحو الجديد"، والتي فصلّ فيها بدقّة من خلال مصنّفه "تيسير النّحو التّعليمي قديماً وحديثاً مع نهج تجديده"، وتتمثّل في:

1. إعادة تنسيق أبواب النّحو²: تنسيقاً يؤدّي إلى الاستغناء عن مجموعة منها وردّها إلى أبواب أخرى.

2. إلغاء الإعرابين التّقديري والمحلّي: في الجمل والمفردات المقصورة والمنقوصة والمبنية: وهذا باهتداء من ابن مضاء واللّجنة الوزاريّة في مقترحاتها سنة 1938، فيقرّ أن يقال في (جاء الفتى): "الفتى" فاعل في محل الرّفْع، وفي قول: (هذا زيد): "هذا مبتدأ في محل الرّفْع، وفي جملة (زيد يكتب الدّرس): "يكتب" جملة فعلية في محل رفع خبر فيكفي تعيين وظيفة الجملة دون ذكر محلها الإعرابي³. وقد ربّب شوقي ضيف على إلغاء هذا الإعراب⁴:

-إلغاء تقدير متعلّق بالظّرف والجار والمجرور: فهما اللّذان يشغلان الوظيفة النّحويّة، ولا يتعلّقان بمحذوف تقديره مستقرّ كما ذهب إليه بعض النّحاة، فيقال: (زيد عندك): "عندك": خبر، ولا يقال أنّه متعلّق بمحذوف خبر.

- إلغاء عمل "أنّ" المصدرية مقدّرة: اعترض ابن مضاء على تقدير (أنّ) النّاصبة بعد فاء السّببية وواو المعية، ورأى أنّ المضارع منصوب بالحرف مباشرة، وهذا ما أخذه شوقي ضيف في الكتاب.

¹- ابن مضاء القرطبي، الرّد على النّحاة، ص9.

²- المرجع نفسه، ص11.

³- المرجع نفسه، ص23-24، بتصرف.

⁴- المرجع نفسه، ص24-25-26، بتصرف.

- إلغاء العلامات الفرعية في الإعراب: وهذا يعني أنّ كلّ علامة أصلية في موضعها، ولا تنوب علامة عن علامة.

- الإعراب لصحة النّطق: فشوقي ضيف يقرّ أنّ الإعراب ليس غاية في ذاته وإتّما وسيلة لصحة النّطق، وترتّب عن ذلك إلغاء إعراب "لا سيما" وبعض أدوات الاستثناء وأدوات الشرط الاسميّة و"كم" الاستفهاميّة والخبريّة و"أن" المخفّفة من الثّقيلة و"كأن" المخفّفة حيث يرى أنّ "أن" المخفّفة في مثل قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾ [طه: 89] هي أداة ربط ولا غير ذلك شأنها شأن "أن" في الآية الكريمة ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا... ﴾ [المؤمنون: 27] فهي مثل "أن" المخفّفة¹.

أمّا "لاسيما" فما قام به النّحاة في شأنها ليس إلّا تكلفاً، لأن ما بعدها يجوز فيه الرفع والنّصب والجر، لذا من الطّبيعي إلغاء إعرابها الذي لا داعي له².

وبخصوص إعراب أفعال الاستثناء، فمن الصّواب إعرابها أدوات استثناء وما بعدها مستثنى منصوب، وتعرب كلّ من "غير، سوى" في أسلوب الاستثناء: حالاً. وبالإضافة من الضّروري حذف أو إخراج الاستثناء المفرغ من باب الاستثناء لأنّه يعتبر قصراً وتخصيص وليس استثناء³.

وينبغي أيضاً إعراب "كم" الاستفهاميّة والخبريّة والاكتفاء بقول أنّها استفهاميّة أو خبريّة، ونفس الأمر مع أسماء الشرط: "من"، "ما"، "مهما"، "أي"، "أين"، "أنى"، "حيثما"، "متى"، "إذ"، "كيفما" ومن اللّزوم إلغاء إعرابها كون هذا الأخير لا يفيد شيئاً في صحة النّطق وسلامته⁴.

3. وضع تعريفات وضوابط دقيقة: أين وقف الدكتور ضيف عند المفعول المطلق والمفعول معه، والحل، ثمّ عرض لتعريف ابن هشام للمصطلحات الثلاثة مبنيّاً أنّها نسبيّة وغير دقيقة، بعد ذلك الفرج إلى وضع تعريفاً خاص به لكلّ واحد منها:

أ- المفعول المطلق: عرفه ابن هشام أنّه: "اسم يؤكّد عامله أو يبيّن نوعه أو عدده"، ويعرّفه شوقي ضيف: "هو اسم منصوب يؤكّد عامله أو يصفه أو يبيّن ضريباً من التّبيين".

¹- شوقي ضيف، تجديد النحو، ص 26-27، بتصرف.

²- المرجع نفسه، ص 27، بتصرف.

³- المرجع نفسه، ص 27-29، بتصرف.

⁴- المرجع نفسه، ص 29، بتصرف.

ب- الحال: عند ابن هشام هو: "وصف فضلة مذكور لبيان الهيئة"، أمّا عند شوقي ضيف فهو: "صفة لصاحبها نكرة مؤقتة منصوبة¹". فشوقي ضيف هنا حاول ضبط تعريفات بعض أبواب النّحو ضبطاً دقيقاً والتي لم تُعرّف تعريفاً سديداً متكاملًا.

ت- حذف زوائد كثيرة: فالغاية من إنشاء شوقي ضيف لنظريته التّجديدية حذف الزوائد التي لا تخلّ بالقواعد اللّغوية ومن بينها: حذف شروط اسم التّفضيل، شروط فعل التّعجب، قواعد اسم الآلة، شروط التّصغير وصيغته التي لا تجري على الألسنة كتصغير فعل التّعجب، قواعد التّسبب، شروط تقديم المبتدأ وجوبا وتقديم الخبر وجوبا وجعله في باب التّقديم والتّأخير، حذف شروط حذف المبتدأ والخبر وجعل ذلك في باب الذّكر والحذف، وحذف إعمال "ليت" و"ما" الكافة، حذف العطف على "إنّ واسمها"، حذف العديد من أحوال وشروط المفعول معه، حذف معظم شروط تابع المنادى، حذف عمل المصدر منكرًا وعرفًا ب(ال)، حذف ما يسمّى سدّ مسدّ الخبر².

لقد قام شوقي ضيف بحذف وإلغاء العديد من الظواهر اللّغوية والتي يُزعم بأنّها مجرد شوائب لا تخدم النّحو في شيء، ومعظمها لا دليل على صحّتها، فما زاد إلّا تعقيد صعوبة للدارسين في فهمهم للقواعد.

ث- إضافات متنوّعة لبعض الأبواب: وهدفها توضيح الصّيغة العربيّة للطّالب، وتمثيلها تمثيلاً دقيقاً، ومن بين هذه الإضافات: مبحث خاص بقواعد النّطق، الحديث عن التّأنيث ودلالته المتنوّعة ونوني الجمع والمثني، الفرق بين اسم الجمع واسم الجنس الجمعي، المضاف والمضاف إليه والتّابع والمتبوع في القسم الصّرفي، إضافة في الممنوع من الصّرف صيغ (أخر-أحاد-موحد)، تخصيص باب للذّكر والحذف والتّقديم والتّأخير³.

يتّضح بعد كلّ ما تمّ ذكره في مسألة التّجديد اللّغوي عند شوقي ضيف، أنّه أقام بناءه "النّحو الجديد" على ثورة ابن مضاء القرطبي في كتابه "الرّد على النّحاة"، فتمكّن من وضع أسس لم تكن معروفة عن سابقه، سنحت له بإعادة تبويب النّحو وتصنيفه تصنيفاً جديداً.

¹ - شوقي ضيف، تجديد النّحو، ص 30-34، بتصرف.

² - المرجع نفسه، ص 34-41، بتصرف.

³ - المرجع نفسه، ص 41-43.

• شريف الشّوباشي: هو كاتب وصحفي وإعلامي مصري ولد بالقاهرة في 10 يناير 1946، أنهدراسته الثّانويّة بإحدى المدارس الفرنسيّة 1993، ثمّ التحق بكلّيّة الآداب في جامعة القاهرة حيث درس بقسم اللّغة الفرنسيّة وتخرّج منها عام 1967¹.

يعتبر الشّوباشي من أكبر دعاة التّجديد الذين دعوا إلى إلغاء القواعد اللّغويّة النّحوية والصّرفية وحتّى الدّلاية الّتي في نظره قيّدت اللّغة العربيّة وجعلتها عاجزة عن مواكبة مستجدات العصر. ومن أهمّ مؤلّفاته الّتي صوّر فيها نظريته التّجديديّة هذه: "لتحيا اللّغة العربيّة يسقط سيبويه". وهذا ما سيتمّ التّفصيل والتّدقيق فيه في الفصل الثّاني من البحث.

5- أسباب ودواعي التّجديد اللّغوي:

لقد تعدّدت دواعي التّيسير والتّجديد في القواعد العربيّة عند اللّغويين المحدثين، وتباينت بتباين الأفكار الّتي حملها هؤلاء بخصوص هذه الحركة إمّا قديماً أو حديثاً، ومن بين هذه الأسباب يمكن ذكر ما يلي:

5-1- دواعي التّجديد اللّغوي في القديم:

- وعي النّحاة الأوائل بصعوبة مؤلّفاتهم، حيث لم تستطع عقول المتكلّمين أن تستوعب النّحو كما شاء له النّحاة أن يكون... فاصطدموا بالنّفور وتنبّهوا إلى ضرورة التّيسير².
- وعيهم (النّحاة) بأنّ النّحو كما استنبطوه غير صالح كقواعد محررة لاكتساب المهارة في اللّغة³.
- الجهود والدراسات الّتي دارت حول كتاب سيبويه صدرت عن بعض النّحاة الذين قد أثّرت فيهم ثقافات مختلفة وعلوم متّسعة كالفلسفة فتعمّقوا في تعقيد النّحو العربي حتّى أصبح صعباً على الكثير من أبناء العربيّة خاصّة أبناء القرن 14 هجري وهي مرحلة تراجعت فيها سليقة أبناء العربيّة ولذلك لزم على النّحاة أن يسلكوا السّبيل الّتي تؤدّي إلى تيسير النّحو⁴.

¹- ويكيبيديا، ar.wikipedia.org، شريف الشّوباشي (sherif el shoubashy)، سبتمبر 2021، تاريخ التصفح: 1 أوت 2022، الساعة، 20:14.

²- محمد عيد، قضايا معاصرة في الدّراسات اللّغوية والأدبيّة، ط1. القاهرة: 1939، عالم الكتب، ص57.

³- عبد الرحمان حاج صالح، النّحو العلمي والنّحو التّعليمي وضرورة التّمييز بينهما، مجلة المجمع الجزائريّ للغة العربيّة، ع17، 2013، ص26.

⁴- خالد عبد الرّحيم عبد الإله، الفكر النّحوي عند النّحاة الأندلس في القرنين السّادس والسّابع الهجريين -دراسة وتحليل-، ط1. مصر: د.ت، ص88-89، بتصرف.

- استدراك ما فات أو ما فقد من المتون بنقل ما تواتر عن مسألة من المسائل منقولة من عال معيّن فقد كتابه¹.
- مساعدة الطلاب على حفظ الأصول والمتون والقواعد بضبط أصولها بدقّة وجمع شتاتها بعبارات موجزة².
- تداخل الأبواب واضطراب العناوين وغياب الدقّة في المصطلحات وصعوبة الاهتداء إلى مسائل النّحو، عدم التّطابق بين العناوين وما تحتها من أقوال، مثل ماورد في الكتاب لسببويه فمن هذه العناوين: (الفعل الذي يتعدّى إلى الفاعل اسم المفعول، واسم الفاعل والمفعول فيه لشيء واحد) ويعني بذلك كان وأخواتها مع غياب الخطّ الواحد الذي يقوم عليه الكتاب، وهو ما يعرف باسم ظاهرة الاضطراب وكتاب المقتضب للمبرد مثال لذلك³.
- تعدّد الآراء والأقوال في المسألة النّحوية الواحدة، فلم تجتمع كلمة النّحاة على رأي موحد في المسألة الواحدة ولم تتفق أحكامهم على شيء وخير مثال: كتاب همع الهوامع وحاشية لتجد حجم العلل والآراء في المسألة الواحدة⁴.
- جمود كتب النّحو فهي كتب مضغوطة ومزدحمة بالدلالات والإشارات والأحكام النّحوية صعبة الفهم⁵.
- الاقتصار على جميع اللّغة من القبائل السّنة المتوغّلة في الصّحراء وفي زمن محدّد وهو القرن الثّاني الهجري وحتى نهاية القرن الرّابع الهجري⁶.

¹ - عبد الرحمان أحمد الإمام، تيسير النّحو بين التّجديد والفوضى، بيروت: 2015، المؤتمر الدّولي، ص7، بتصرف.

² - المرجع نفسه.

³ - عوض أحمد القوزي، المصطلح النّحوي ونشأته وتطوّره حتى أواخر القرن الثّالث الهجري، الرياض: 1981، جامعة الرياض، ص164.

⁴ - عباس حسن، اللّغة والنّحو بين القديم والحديث، د.ط. القاهرة: 1966، دار المعارف، ص73-74.

⁵ - علا عزمي الشّرييني، "دواعي تيسير النّحو منذ القرن الثّاني الهجري إلى الآن"، المجلة الالكترونية الشّاملة متعدّدة التّخصصات، ع39، سبتمبر 2021.

⁶ - المرجع نفسه.

5-1- دواعي وأسباب التّجديد والتّيسير اللّغوي في العصر الحديث:

- تحقيق كتاب الرّد على النّحاة" لابن مضاء القرطبي سنة 1947م، وتعدّد الصّيحات المطالبة بتيسير النّحو وتخليصه ممّا فيه من تعقيد وعسر شديد¹. فالنّحاة المحدثون اعتبروا أفكار ابن مضاء مرجعية علمية في تيسير النّحو كما اعتبروا كتابه ذلك بداية تأسيس للنّظرية التّيسيرية.
- ادّعاء النّقاد للموروث اللّغوي العربي أنّ النّحو مليء بالعيوب والنّقائص التي تجعل إصلاحه وإعادة النّظر فيه ضرورة يجب القيام بها².
- تأثّر النّحو العربي بالمنطق الأرسطي³.
- إغفال القدماء لتفسير مفهوم العامل بدقّة واستيعاب ولذلك انصبّت مئات العبارات في الكتب والمحاضرات والنّدوات والمؤتمرات تحاول التّفسير والتّوجيه والتّقويم والنّقد أو الشّكوى والتّمر والنّهك والازدراء لاستبعاد مسألة العامل النّحوي عند الدّرس النّحوي وبصره⁴.
- توهم الكثير من الباحثين المعاصرين بفخامة مسألة العامل النّحوي ومبالغتهم في تهويل وظيفتها المنهجية، وزعمهم أنّها موجّهة للنّحاة القدامى في توزيع الأبواب النّحوية ومهيمنة على تفكيرهم وأنظراهم بلهي المتحكّمة في مسيرة البحث والتّجديد والتّظهير والتّفسير والتّعليل عندهم⁵، ممّا أدّى بهم إلى تسهيل النّحو من إلغاء نظريّة العامل.
- الإفراط في التّأويل والتّقدير وحمل الأساليب على غير ظاهرها وشرح المتون والمصنّفات القديمة بمتون ومصنّفات جديدة ممّا أوجد صعوبة في فهم المصنّفات القديمة والجديدة على السّواء⁶.

¹- شوقي ضيف، تجديد النّحو، ط4. ص3.

²- محمد صاري، "تيسير النّحو في ضوء علم تدريس اللّغات"، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر: 30 ديسمبر 2005، ع02، ص189-190، بتصرف.

³- عبد الرحمان حاج صالح، بحوث ودراسات في اللّسانيات العربية، الجزائر: 2012، موفم للنّشر، ج1، ص45، بتصرف.

⁴- فخر الدّين قباوة، مشكلة العامل النّحوي ونظرية الاقتضاء، ط1. بيروت: 2003، دار الفكر، ص8.

⁵- المرجع نفسه، ص7.

⁶- علا غرمي الشّربيني، دواعي تيسير النّحو منذ القرن الثّاني الهجري إلى الآن، المجلة الالكترونية الشّاملة متعدّدة التّخصّصات، السّعودية: سبتمبر 2021، ع39، ص15.

- إنّ النحويين القدماء أدخلوا اللّهجات العربية على اختلافها وثناياها في القواعد النّحوية، ونظروا إليها، على أنّها صورة مختلفة من اللّغة المشتركة وهذا جعل الأقوال تختلف في المسألة الواحدة ممّا صعّب استعمالها وفهمها¹.

لقد كانت هذه بعض من الأسباب التي جعلت العلماء يثبّون جاهدين على تهذيب وتبسيط القواعد اللّغوية، ويحاولون إخراجها من مستنقع التّعقيد الذي توجد فيه، ورغم اختلافها-الأسباب- إلا أنّها كلّها تسعى إلى إعادة توثيق الرّابط بين اللّغة العربية والطّالب أو الدّارس لها.

بعد جولة من الدّراسة في موضوع التّيسير والتّجديد للقواعد اللّغوية العربية يتّضح أنّ الأسلاف القدّامى وعوا لهذه الحركة حين أدركوا صعوبة وجمود هذه الأصول والقوانين التي أضحت منفرا للمتعلّمين والدّارسين لها، فألفوا فيها مختصرات ومنظومات وشروحا، وكان كتاب ابن مضاء "الرّد على النّحاة" أجراً محاولة مسّت منهج النّحو العربي وسعت إلى تغيير أصوله التي بُني عليها. وازداد الاهتمام بهذا الموضوع أكثر في العصر الحديث حيث بحث وكتب فيه عدد هائل من العلماء واللّغويين، وقد تنوّعت مناهجهم ومذاهبهم فمنهم الإحيائيين ومنهم الميسرين، ومنهم المجدّدين. وكان الهدف الرّئيسي من كلّ هذه المحاولات يكمن في تقويم الألسن البشرية عن التّحدّث باللّغة العربية الفصحى والسّعي إلى كتابتها كتابة صحيحة، وخاصّة بعد ظهور العامية التي شكّلت تهديدا مباشرا لها.

6- الازدواج اللّغوي بين اللّغة العربية الفصحى والعربية العامية Bilinguisme

entre l'arabe standard et l'arabe familier.

تعدّ اللّغة العربية أطول اللّغات الحيّة عمرا، وهي من أرقى اللّغات السّامية، وقد زادها القرآن الكريم سمواً ومكانة كونها لسان معجز التّنزيل ولغة البيان النّبوي، ما ضمن لها البقاء والاستمرارية في كلّ من صورتها اللّفظية والكتابية. كما تعتبر وعاء الفكر والمعرفة ومؤشرا على وحدة الأمة العربية ومرآة تاريخها وحضارتها ودينها. لكن رغم هذه المنزلة المرموقة التي اكتسبتها إلا أنّ هذا لم ينقذها من الدّخول في أمة جدّية، حيث تعيش اللّغة العربيّة الفصحى خضم متلاطم من أحرّاش العامية وتخوض حرب البقاء بالرّغم من صعوبة التّحدي الذي تواجهه ولاسيما أنّ النّاس تمسّكوا بالعربيّة العامية كونها ميسّرة سهلة، ظلّنا منهم أنّهم قادرين على الاستغناء عن الفصحى وتبديلها بها، هذا ما يجعلهم يعيشون ما يسمّونه بالانفصام اللّغوي أو الازدواج اللّغوي.

¹ - علا غرمي الشّربيني، دواعي تيسير النّحو منذ القرن الثّاني الهجري إلى الآن، ص15.

6-1- تعريف اللّغة:

لقد تعدّدت مفاهيم مصطلح "اللّغة" من ناحيتيّهِ اللّغويّة المعجميّة والاصطلاحيّة، وهذه من بين هذه التعاريف:

أ- من النّاحية اللّغوية: لقد تنوّعت التعاريف المقدّمة لـ"اللّغة" من بينها:

- ما ورد في معجم الوسيط أنّ اللّغة: من لغا في القول لغوا: أي أخطأ، وقال باطلا، ويقال: لغا فلان لغوا: أي أخطأ، وقال باطلا. ويقال: ألغى القانون. ويقال ألغا من العدد كذا: أسقطه. والإلغاء في النّحو: إبطال عمل العامل لفظا ومحلاّ في أفعال القلوب مثل ظنّ وأخواتها التي تتعدّى إلى مفعولين. واللّغا: ما لا يتعدّد به. يقال: تكلم باللّغا ولغات ويقال: سمعت لغاتهم: اختلاف كلامهم. واللّغو: ما لا يعتمد به من كلام وغيره ولا يصل منه من فائدة ولا تقع ولكلام يبدر من اللسان ولا يراد معناه¹. ومن هذا التّعريف يفهم أنّ "اللّغة" لها عدّة دلالات مختلفة تتمثّل في الخطأ، والإلغاء، وغير النّافع.

- كما عرّفها الكفوي في "الكليات" بقوله: "اللّغة أصلها لغى، أو لغو جمعها لغى ولغات"².

ب- من النّاحية الاصطلاحية: اختلف العلماء قديما وحديثا في تحديد تعريف محدّد للّغة، وذلك بسبب ارتباطها بالكثير من العلوم. ومن أهمّ هذه التّعريفات:

- ابن جني الذي قال في شأن اللّغة إنّها: "أمّا حدّها، (اللّغة) فإنّها أصوات يعبر بها كلّ قوم عن أغراضهم"³. ويعني أنّ اللّغة ظاهرة صوتية تشغل وظيفة اجتماعية فهي أداة اتّصال وتواصل بين أفراد المجتمع ووسيلة لتعبيرهم عن أغراضهم وحاجاتهم.
- وهناك أيضا ابن تيمية لها: "أداة تواصل وتعبير عمّا يتصوّره الإنسان ويشعر به، وهي وعاء للمضامين المنقولة، سواء أكان مصدرها الوحي أو الحسّ، أم العقل، وهي أداة لتمحيص المعرفة

¹- ابراهيم مصطفى، حامد عبد اقاد وآخرون، المعجم الوسيط، د.ط. اسطنبول: 1972، المكتبة الاسلامية للطباعة والنّشر، مادة(لغا)، ص831، بتصرف.

²- الكفوي أبو البقاء بن موسى الحسني، الكليات، تح: عدنان درويش، محمد المصري، د.ط. بيروت: 1998، مؤسّسة الرّسالة، ص796.

³- أبو الفتح ابن جني، الخصائص، ص43.

الصّحيحة، وضبط قوانين التّخاطب السّليم¹. ويقصد ابن تيمية من تعريفه أنّ اللّغة وظيفة اتّصالية وتعبيرية، ولها علاقة بالعقل والتّصوّر والمشاعر كما لها دور في نقل المعرفة وتمحيصها.

6-2- اللغة العربية الفصحى:

- أ- **تعريف الفصاحة:** من بين أهمّ التّعريفات المقدّمة لهذا المصطلح لمصطلح الفصحى:
- **من الناحية اللغوية:** تعريف أبو الهلال العسكري (ت395هـ): "والشّاهد على أنّها الإظهار قول العرب "أفصح الصّبح إذا أضاء وأفصح اللّبن إذا ذهبته عنه رغوته وظهر"، ثمّ استعير هذا المفهوم من "أفصح الصّبح وأفصح اللّبن إلى الكلام الإنساني"، كما يوضّح ذلك الرّاعب الأصفهاني (ت502هـ): "ومنه استعير الرّجل جاءت لغته"². ويرد من تعريفه أنّ الفصاحة تعني الإظهار.
 - كما صرّح الجرجاني بالمعنى اللّغوي العام للفصاحة فيقول: "وأنّ الذي هو معنى الفصاحة في أصل اللّغة هو الإبانة عن المعنى"³، فهو هنا قد عبّر عن مفهومه للفصاحة بلفظة الإبانة.
 - **من الاصطلاحية:** من بين التّعريفات المقدّمة لمصطلح الفصاحة من النّاحية الاصطلاحية يذكر:
 - تعريف أبو نصر الفراءى (ت339هـ): "فينشأ من نشأ فيهم -أي العرب- على اعتيادهم النّطق بحروفهم وألفاظهم من حيث يتعودون اعتيادهم لها في أنفسهم وعلى ألسنتهم حتّى لا يعرفوا غيرها. حتّى ألسنتهم عن كلّ لفظ سواها وعن تشكيل لتلك الألفاظ غير التّشكيل الذي تمكّن فيهم وعلى ألسنتهم بالعادة على ما أخذ من سلف منهم... فهذا هو الفصيح والصّواب من ألفاظهم وتلك الألفاظ هي لغة تلك الأمّة، وما خالف ذلك فهو الأعجم والخطأ من ألفاظهم"⁴. إذ ما تمّ التّمعّن في هذا الشّرح يتّضح أنّه لا يخرج عن مفهومه اللّغوي كونه منبثق منه، والذي يعني اتّباع نظام لغة العرب في كلّ مستوياتها (الصّوتي، الدّلالي، الصّرفي، النّحوي) دون خطأ أو عجمة.
 - وأيضا يعرفها الرّمخشري: "وفصح انطلق لسانه وخلصت لغته من اللّكنة"⁵. لقد أضاف الرّمخشري لفظة اللّكنة في تعريفه مقابلا للفصاحة وهي خاصّة بالأعاجم.

¹- أحمد شيخ عبد السّلام، اللّغويات العامّة، مدخل إسلامي وموضوعات مختارة، ط2. ماليزيا: 2006، دار التّجديد، ص80.

²- أبو القاسم جار الله محمود بن أحمد الرّمخشري، أساس البلاغة، ج2، ص24، بتصرف.

³- المرجع نفسه، ص24.

⁴- حسين بن زروق، العامية الجزائرية وجذورها الفصيحة -دراسة مقارنة-، ص15، بتصرف.

⁵- أبو القاسم جار الله محمود بن أحمد الرّمخشري، أساس البلاغة، ص24-25، بتصرف.

ب- تعريف اللّغة العربية الفصحى: يعرفها عبد الواحد وافي أنّها: "... اللّغة الّتي تُدوّن بها المؤلّفات والصحف والمجلات وشؤون القضاء والتّشريع والإدارة ويدون بها الإنتاج الفكري على العموم، ويؤلّف بها الشّعْر والنّثر الفنّي، وتستخدم في الخطابة والتّدريس والمحاضرات، في تفاهم الخاصّة بعضهم مع بعض وفي تفاهمهم مع العامّة إذا كانوا بصدد موضوع يمسّ بصلة إلى الآداب والعلوم"¹. فاللّغة العربية الفصحى ضرورية في جميع مجالات الحياة سواء أكانت سياسية أم ثقافية أم اجتماعية، وأنّها أساس الآداب، فلتحقيق أهداف معيّنة في أي مجال أدبي لا بدّ من استخدام العربية الفصحى.

- ويقول إميل بديع يعقوب بخصوصها أنّها: "لغة القرآن الكريم والتّراث العربي جملة والّتي تستخدم اليوم في المعاملات الرّسمية وفي تدوين الشّعْر والنّثر والإنتاج الفكري عامّة"². بمعنى أنّها لغة الدّين الإسلامي، ولغة الحضارة العربية كما أنّها لغة رسمية نظراً لرفقيّها، وتختصّ أيضاً في المجال الأدبي.

ت- خصائص ومميّزات اللّغة العربية الفصحى: تتميّر العربية الفصحى بخصائص جعلتها تنفرد عن غيرها من لغات العالم أهمّها³:

1. الاشتقاق: اللّغة العربية الفصحى هي لغة اشتقاق تقوم غالبها على أبواب الفعل الثّلاثي، وهي خاصية تنفرد فقط هي بها، ولا وجود لها في اللّغات الأخرى.
2. تنوّع الأساليب: تتميّر العربية الفصحى بتنوّع الأساليب والعبارات ما يُمكنها من التّعبير عن عدّة معان لم تتمكّن اللّغات الغربية من التّعبير عنها.
3. الدّقة: فهي تخضع لقواعد المنطق بشكل أكبر مقارنة عن غيرها من اللّغات الأعجمية.
4. الانتشار: فحروفها قد ذاعت وانتشرت في نطاق واسع بين الملايين من الشّعوب في بلاد الفرس وتركيا.

5. غنيّة بالألفاظ: هي من أكثر اللّغات غناء وثراء من حيث عدد مفرداتها.
6. لغة الفكر والثّقافة والعقيدة: تمثّل لغة الدّين والسّياسة والفكر والتّجارة والعلم.
7. لغة كاملة: إذ أنّها معبّرة للعلوم الباطنة والظّاهرة وذلك بفضل سيكولوجيتها.

¹- علي عبد الوافي، فقه اللّغة العربية، ط7. القاهرة: 1972، دار النّهضة، ص119.

²- إميل بديع يعقوب، فقه اللّغة العربية وخصائصها، ط1. بيروت: 1982، دار العلم للملايين، ص114، بتصرف.

³- أنور الجندي، الفصحى لغة القرآن، ط3. بيروت: 1982، دار الكتاب اللّبناني، ص7-17، بتصرف.

8. لغة الاشتقاق والتّوليد: تتميز باشتقاق وتوليد عدد كبير من الكلمات في اللفظة الواحدة مع الحفاظ على معالمها وحروفها الأصليّة ومعناها الأصلي.

6-3- العربية العامية:

أ- تعريف العامية:

• **من الناحية اللغوية:** حسب معجم تهذيب اللّغة فإنّ لفظة: العامية مأخوذة من لفظ العام مقابل للخاص ويقال: رجل عمي ورجل قصي، فالعمي: العام، والقصري: الخاص¹. فهنا ربط مفهوم العامية بلفظة "العام" التي يقابلها الخاص، ثمّ أُضيفت النسبة إليه فأصبح عامياً ليبدّل على المذكر، ثمّ وصف به اللّغة وهي مؤنثة فأضحت عامية أي اللّغة العامية.

- وجاء في لسان العرب لابن منظور (ت711هـ): "والعامّة خلاف الخاصّة"²، وهو نفسه مع التّعريف الأوّل أي العام عكس الخاص.

• **من الناحية الاصطلاحية:** ورد تعريف العامية في كتاب "فقه اللّغة العربية وخصائصها" على أنّها تلك: "اللّغة التي تُستخدم في الشؤون العادية، والتي يجرى بها الحديث اليومي، ويتّخذ مصطلح العامية أسماء عدّة عند بعض اللّغويين المحدثين كـ"اللّغة العامية" و"الشكل اللّغوي الدارج" و"اللّهجة الشائعة" و"اللّغة المحكية"، و"اللّهجة العربية العامية"، و"اللّهجة الدارجة"، و"اللّهجة العامية"، و"العربية العامية"، و"اللّغة الدارجة"، و"الكلام الدارج"، و"الكلام العامي"، و"لغة الشعب"...³.

إنّ هذا القول قد حدّد مجال استعمال اللّغة العامية المتمثّل في الأعمال اليومية وفي الحياة العادية، كما عدد التّسميات المختلفة التي أطلقها العلماء على العامية.

- ويعرّفها عبد الوافي: "...طريقة الحديث التي يستخدمها السّواد الأعظم من النّاس وتجري بها كافّة تعاملاتهم الكلامية، وهي عادة لغوية في بيئة خاصّة تكون هذه العادة صوتيّة في غالب الأحيان"⁴، وبدلّ على أنّ العامية هي لغة المشافهة التي يستعملها الأفراد في حياتهم اليوميّة

¹- أبو منظور بن أحمد الأزهرى، تهذيب اللّغة، تح: عبد السّلام محمد هارون، د.ط. القاهرة: د.ت، الدّار المصرية للتأليف والترجمة، ج1، ص121، بتصرف.

²- أبو الفضل جمال الدّين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، د.ط. بيروت: د.ت، دار صادر، ج12، ص431.

³- إميل بديع يعقوب، فقه اللّغة العربية وخصائصها، ص144-145.

⁴- علي عبد الواحد وافي، فقه اللّغة العربية، ص153-154.

العادية، وتختصّ كلّ منطقة بلغة خاصّة بها، وهذه الخصوصية يتحكّم فيها الاختلاف الصوتي بين لغاتهم القومية.

ب- **مميّزات العاميّة:** لقد وضع دعاة العاميّة عدّة مميّزات لها، وعلى رأسهم "أنيس فريحة" الذي أحصى بعض مميّزاتها في ما يلي¹:

- العاميّة حيّة ومتطوّرة، وتتغيّر نحو الأفضل، لأنّها تتّصف بإسقاط الإعراب، وبشكلها العادي المشترك المألوف، واعتمادها الفصحى معينا لها،
- الاقتصاد في اللّغة: ويعتبر جوهر من جواهر اللّغة،
- الإهمال والاقْتباس والتّجديد في المعنى،
- العنصر الإنساني الذي يضيف عليها مسحة الحياة. فالإنسان يعبر في حياته اليومية بالعاميّة بكلّ سلاسة وطلاقة على خلاف اللّغة الفصحى التي يجدها صعبة للقيام بذلك.

4-6- الازدواج اللّغوي:

أ- تعريف الازدواج اللّغوي:

- **من الناحية اللغوية:** يعرفه ابن منظور في قوله: "تزوّج القوم وازدوجوا: تزوّج بعضهم بعضا". أي بنات قوم ما تزوّجوا من شباب نفس القوم ولم يخرجوا من حدوده.

ويصرّح أيضا أنّ: "ازدوج الكلام وتزواج: أشبه بعضه بعضا في السّجع أو الوزن، أو كان لإحدى القضيتين تعلّق بالأخرى"².

ومن هنا نستخلص أنّ المقصود بالازدواج اللّغوي لهذا الأخير هو ازدواج لسان شخص ما ، بمعنى تحدّث لغتين هما الفصحى والعامية.

- **من الناحية الاصطلاحية:** حسب موسى نهاد(ت2022م) هو: "عبارة عن لغة فيها مستويات مستوى الكتابة، ومستوى الخطاب الشّفهي في الشّؤون اليومية، وندلّ بها على الوضع المماثل في العربية بما فيها من تقابل بين الفصحى والعامية"³. وهذا هو التّعريف المقصود به في هذا الموضوع المعالج.

¹- أنيس فريحة، نحو عربيّة مسيرة، ط4، بيروت: 1973، دار الثقافة، ص122-123.

²- جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، مادة(زوج)، ص1885.

³- موسى نهاد، اللّغة العربية في العصر الحديث، ط7. دار الشّروق، عمان: د.ت، ص73، بتصرف.

ب- أسباب الازدواج اللّغوي: تعدّدت أسباب ازدواج اللّغة العربية الفصحى والعامية وأهمّها¹:

1. العامل السّياسي: يدلّ هذا العامل على انقطاع الصّلة بين الأمم العربيّة نتيجة غياب وسيلة تواصل واضحة بينها ما تولّد عن ذلك قطع العلاقات بمختلف أنواعها والتي كانت موحّدة فيما بينها سبب لغة واحدة تتمثّل في اللّغة العربيّة الفصحى لا العاميّة، فعلى سبيل المثال حتّى داخل البلدان المغرب العربي تنوعت اللّهجات فيها، فاللهجة الجزائرية غير اللهجة المغربية وغير اللهجة التّونسيّة وهكذا، وعند محاولة شعوب هذه الدّول الاختلاط والاحتكاك فيما بينها ينتج عندهم مصطلحات ومفردات جديدة، وهذه الأخيرة لها تأثير سلبي على اللّغة الفصحى، إذ تؤدّي إلى إعاقتها وخلق لغة جديدة.

2. العامل الاجتماعي: للظروف الاجتماعيّة تأثير كبير على اللّغة العربيّة الفصحى وخاصّة التّنوع الطّبقي، أين تتحدّث كلّ طبقة بطريقة مختلفة على الطبقة الأخرى، فالأميّة هي منبع اندفاق اللّهجات العاميّة، ومستوى اللّغة لديهم متدنّ جدا ومنحصر في أمور بسيطة ومعدودة عكس الطبقة المثقفة التي تميّز بلغتهم الرّاقية، وعند المقارنة بين الفئتين يصعب تحديد التّوافق فيما بينهما، كالتّوافق الموجود بين أشخاص من الطبقة نفسها. وهذا الاختلاف بينهما هو الذي يتسبب في إحداث ضعف داخل بنية المجتمع والازدواجيّة اللّغوية.

3. العامل الجغرافي: هناك رابط مشترك بين جميع الدّول العرب وهو اللّغة العربيّة الفصحى، وهذه الدّول متوزّعة جغرافيا متنوّعا يفصل بينها الجبال والبحار... بمعنى اتّساع المسافة بينها وهذا ما يعيق مهمّة التّواصل بين سكان هذه الدّول لذا يتحدّد كلّ منهم لهجته الخاصّة وفق الحيّز الجغرافي الذي يعيش فيه فتحلّت اللهجة موضع الفصحى وتقف عائقا أمام تطوّرها وازدهارها.

4. الصّراع اللّغوي: ويتمثّل تعصّب المجتمعات وتمسك أفرادها الشّديد بالعاميّة، ما خلق بينهم صراعا بينهم صراعا حادّا حول الحفاظ على اللّهجات العاميّة الذي أنتج ابتعاد الإنسان عند العربية الفصحى.

ت- الدّعوات إلى استخدام العاميّة: عرف العصر الحديث حربا بين أنصار الفصحى والعاميّة التي اعتبرت دعوات قائمة على استخدام العاميّة بدل الفصحى، وكان أكثر الدّاعين إلى ذلك مستشرقين ومستعربين، أمثال: لطفي السّيد الذي كتب عام 1993م عدّة مقالات يدعو فيها إلى استعمال الألفاظ العاميّة وإدخالها حرم الفصحى، وكذلك "قاسم أمين" الذي أعلن عام 1912م عن

¹ - أنور الجندي، الفصحى لغة القرآن، ص185-186.

عزوفه عن الإعراب وميله إلى تسكين أواخر الكلمات وهناك دعوة "أنيس فريحة" و"الخورية مارون" غضّ "على استعمال اللهجة المكتوبة بالحروف اللاتينية وأصدر كتابا بخصوص هذا الموضوع بعنوان "نحو العربية الميسرة" عام 1955.

وبعد كلّ ما تناوله البحث حول إشكالية الازدواجية اللغوية يمكن التّصريح أنّ هذه القضية تشكّل صراعا لغويًا داخليًا بين الفصحى والعاميّة، وبروز هذه الأخيرة على حساب الفصحى وهذا يعتبر تهديدا خطيرا على اللغة العربية ومستقبلها.

وقد كان الانفصام اللغوي حتميًّا لأوضاع المجتمع العربي السياسيّة الاجتماعيّة والفكريّة، ويعتبر ظاهرة سلبية تهدّد لحيان المجتمع بكلّ أجهزته وهويّته بوجه الخصوص.

خلاصة الفصل:

بعد كلّ ما تمّ تحليله فيما سبق، يتّضح أنّ اللّغة العربيّة قد تعرضت لتهديد اللّحن والتّشويه اللّذين كانا نتيجة اختلاط الأجناس بسبب الفتوحات الإسلاميّة، فكان لا بدّ من الحفاظ على سلامتها وخاصّة أنّها لغة التّنزيل المقدّس، فعمل علماؤها على تقييدها ووضع قوانين وأحكام لها تضمن بقائها على فصاحتها وعدم ارتكاب الأخطاء عند قراءة القرآن الكريم، فاحتجّوا في ذلك بعدّة مصادر كانت موثوقة تتمثّل في كلام العرب شعره ونثره، القرآن الكريم والقراءات القرآنيّة، بالإضافة إلى النّبوي الشريف. ولكن كانت تلك القواعد عويصة وصعبة في نظر الكثير من الباحثين الآخرين إمّا قديما أو حديثا، ويرون أنّها تشكّل عائقا أمام المتعلّمين والتّلاميذ الذين هم في صدد تعلّم اللّغة العربية ودراستها، وبين هؤلاء اللّغويين هناك ابن مضاء القرطبي الذي ثار على تلك القواعد وحاول تبسيطها وهناك أيضا في العصر الحديث أمثال إبراهيم مصطفى، وتمام حسان، وشوقي ضيف، وشريف الشّواشي... وغيرهم كثير الذين تبنّوا عدّة اتّجاهات تيسيريّة بغية تسهيل عمليّة تعلّم هذه اللّغة، فمنهم من قام بإحيائها، ومنهم من قام بتيسيرها، أمّا البعض الآخر فحاول تجديدها. ولكن رغم هذه الجهود والمحاولات إلّا هذه اللّغة وقعت في حفرة الازدواج اللّغوي الذي يعاني منه المجتمع العربي، والتّصادم بين الفصحى العاميّة التي سيطرت على السّاحة وخاصّة من حيث الكلام.

الفصل الثاني: تحليل قضايا كتاب (لتحيا اللغة العربية

يسقط سيبويه) لشريف الشوباشي

1- لمحة عن شريف الشوباشي وكتابه (لتحيا اللغة العربية يسقط سيبويه):

1-1- التعريف بشريف الشوباشي

1-2- التعريف بالكتاب

2- القضايا التي تناولها كتاب (لتحيا اللغة العربية يسقط سيبويه):

3- مواقف وأراء شريف الشوباشي اللغوية من خلال كتابه (لتحيا اللغة العربية يسقط

سيبويه) بين تأييد ومعارضة:

1-3- المؤيدون

1-4- المعارضون

1- لمحة عن شريف الشوباشي وكتابه "لتحيا اللغة العربية يسقط سيبويه":

1-1- التعريف بشريف الشوباشي:

أ- ولادته وحياته¹: اسمه الكامل شريف محمد مفيد الشوباشي من مواليد 10 يناير عام 1946م بالقاهرة، هو كاتب وصحفي وإعلامي مصري، أنهى دراسته الثانوية بإحدى المدارس الفرنسية عام 1962م، تخرج من كلية الآداب قسم اللغة الفرنسية في جامعة القاهرة عام 1967م وينحدر من عائلة معروفة في مصر، فوالده هو المحامي والكاتب والشاعر محمد مفيد الشوباشي، أما أرملة أخيه فهي الصحفية المصرية فريدة الشوباشي.

ب- مسيرته المهنية: إن مسيرة شريف الشوباشي حافلة جدا، فقد اشتغل في إذاعة الشرق الأوسط ثم إذاعة القاهرة عام 1968م كأول عمل له بعد التخرج ثم اتجه إلى العمل كمحرر وصحفي دبلوماسي في عدة جهات إعلامية مثل: مجلة المصورة 1969م. بعد ذلك شغل منصب مدير مكتب جريدة الأهرام بباريس لمدة 16 سنة بين 1985م و2002م، ثم شغل منصب مسؤول العلاقات الثقافية الخارجية بوزارة الثقافة المصرية بدءا من عام 2022م، ومن 1974م إلى 1980م قدم نشرة إخبارية في التلفزيون باللغة الفرنسية، وعمل أيضا أمانة منظمة اليونسكو بباريس في الفترة الممتدة من 1980م إلى غاية 1985م، كما تولّى رئاسة مهرجان القاهرة السينمائي الدولي².

حصل شريف الشوباشي على عدة أوسمة دولية أهمها:

- وسام الاستحقاق الرسمي الكبير لجمهورية إيطاليا،
 - وسام الفنون والآداب برتبة ضابط من جمهورية فرنسا،
 - وسام الاستحقاق الخاص من الجمهورية روسيا الاتحادية.
- ت- مؤلفاته: لقد ألف شريف الشوباشي عدة كتب متنوّعة ومختلفة من كتب لغويّة ومجموعات قصصية وروايات ومسرحيات وغيرها، من هذه الأعمال هناك:
- هل فرنسا عنصرية؟ عام 1992م،

¹- شريف الشوباشي، ويكيبيديا، <http://ar.m. Wikipedia.org>، سبتمبر 2021م، تاريخ التصفح: 24 جويلية 2022م، الساعة 10:20، بتصرف.

²- ويكيبيديا، شريف الشوباشي، الموقع نفسه، بتصرف.

الفصل الثّاني: تحليل قضايا كتاب (لتحيا اللّغة العربيّة يسقط سيّويه) لشريف الشّوباشي

- الشيخ عبد الله: في 1994 وهي مجموعة قصص قصيرة حولت القصة الأساسيّة بها إلى فيلم سينمائي بعنوان "بطل من الجنوب" عام 2000م،
- مسرحيّة تسقط أورشليم 1995م،
- نهاية التّفكير 1998م.
- الدّاء العربي عام 2002م،
- لتحيا اللّغة العربيّة يسقط سيّويه في 2004م،
- تحطيم الأصنام 2006م.
- ثورة المرأة 2010م،
- رواية ديناصور 2010م،
- مستقبل مصر بعد الثورة 2011م،
- لماذا تخلفنا ولماذا تقدم الآخرون 2013م،
- رواية الهانم والوزير 2015م،
- نداء عاجل الى سيدات مصر 2018م.

1-2- التّعريف بكتاب الشّوباشي "لتحيا اللّغة العربيّة يسقط سيّويه":

إنّ أشهر كتاب لشريف الشّوباشي هو مؤلّفه المعنون: "لتحيا اللّغة العربيّة يسقط سيّويه"، الذي تمّ نشره من طرف الهيئة المصريّة العامّة للكتاب في القاهرة عام 2004م، وقام بإخراجه وتنفيذه "صبر عبد الواحد" وتبلغ عدد صفحاته 194 صفحة.

إنّ الشّوباشي افتتح كتابه هذا بمقولة طه حسين من كتابه "مستقبل الثقافة في مصر" والممثلة في: "إنّ اللّغة العربيّة ليست ملكا لرجال الدّين ... ولكنّها ملك للذّين يتكلّمونها جميعا من الأمم والأجيال. ولقد قسمه إلى عشرة فصول أساسية استهلّها بمقدّمة طويلة تمتدّ إلى عشر صفحات، تتمثّل هذه الفصول في:

1. برج بابل،
2. هل هناك لغة عالمية؟،
3. رسالة الى حراس الضاد؟،
4. هل العربيّة لغة مقدّسة؟،

5. المسيحيون والعربية،

6. المتنبي يخاف من الإعراب،

7. شيزوفرنيا لغوية،

8. غاية اللغة،

9. ضدّ تحنيط العربية،

10. الاستثناء العربي.

كما قام بدراسة كلّ عنوان على حدة، وتقديم نظريته الخاصة حول القضية التي تسري تحت هذا العنوان وكلّ هذا لمعالجة المشكلة التي يطرحها من خلال تأليفه هذا الكتاب وهي: اللغة العربية مهدّدة بالضّياع لحساب اللهجات التي يستخدمها الناس من مختلف الأقطار العربية للتعبير عن أنفسهم وحاجياتهم في حياتهم اليومية ونفورهم من تعلّم قواعد اللغة العربية التي يراها معقّدة، وقام بدعوة إلى عدم تحنيط اللغة والسّعي إلى تغييرها وجعلها، أكثر سهولة مثلها مثل اللّغات الأوروبية التي تطورت من أجل التّسيير ومواكبة العصر .

2- القضايا التي تناولها كتاب " لتحيا اللغة العربية يسقط سيبويه":

لقد عالج شريف الشوباشي في كتابه "لتحيا اللغة العربية يسقط سيبويه" عدّة قضايا لغوية تتمثّل في:

2-1- الفصل الأول: برج بابل:

تناول شريف الشوباشي قضية جدّ مهمّة، تتمثّل في أهميّة اللغة في حياة الإنسان إمّا الشّخصية أو الاجتماعية، إذ تطرّق إلى الدّور الذي تؤدّيه في تحديد هويّة الشّعب وتطوير ثقافته وأسلوب عيشه وتحقيق التّواصل بينهم ومساهمتها في التّعبير عن النّفس وما يجول في جوارح الشّخص وتفكيره، وكلّ هذا أدرجه بعنوان "برج بابل".

"برج بابل" قصّة أو أسطورة برج عالي جدّا يعود زمنه إلى أقدم العصور أين كان هناك ملك طاغية وهو أول ملك ادّعى الألوهية وقام ببناء حضارة ضخمة وغزى جزء كبير من الأرض ولم يكتف بذلك فقرّر غزو السّماء، خاصّة بعد أن واجهه النّبي إبراهيم عليه السّلام ومحاولته هدايته إلى طريق الإيمان باللّاه وحده لا شريك له، فرفض ذلك وأمر جنوده بتشديد برج شاهق لغزو السّماء لإثبات أنّ لا إله

غيره، ولكن خطته هذه باتت بالفشل ولم يحقق مبتغاه¹. وقد قال الشوباشي أنّ السبب في ذلك راجع إلى أنّ الله سبحانه وتعالى جعل العمّال البنائين له يتكلمون لغات مختلفة ما أدّى إلى عدم التفاهم بينهم، وسادت الخلافات داخلهم، فشرعوا في الشّجار بدلا من العمل، فلم يستطيعوا بذلك اكماله². وقد ربط أفكاره وآرائه حول اللّغة وأهميتها في حياة البشرية بهذه الأسطورة واتّخذها عنوانا لفصله.

لقد أقرّ شريف الشوباشي على الدّور الذي تؤديه اللّغة في إثبات هوية الفرد وتطوير ثقافته، وهذا ما يتّضح في قوله: "الحقيقة أنّ اللّغة قضية حيوية تساهم بشكل حاسم في تحديد الهوية وتطوير الثقافة في القرن الحالي"³، فاللّغة في نظره هي روح الأمّة ووعاء هويتها وثقافتها، ومن خلالها يتمّ تمييز قوم عن غيره من الأقوام. واللّغة العربية هي التي تحدّد الهوية العربية لقوم ما وتحافظ على سائر عناصرها من عقائد وتجارب، فعزل المجتمعات عن اللّغة يعني عزلها عن هويتها بالإضافة إلى أنّها تساهم بشكل كبير في ازدهار ثقافة العرب ومن غيرالممكن الحديث عن هذه الأخيرة من دون ذكر اللّغة لأنّها في كلا نطاقيهما المكتوب والمنطوق جزء من ثقافة أيّ مجتمع يستخدمها ويتحدّثها بما أنّها تحمل تاريخ وحضارة الأمّة العربية وتنظّم عاداته وتقاليد وقيمه وتعتبر الذاكرة الجماعية للأمّة التي تحفظ تراثها وتجربتها في التّاريخ، وأهمّ طريقة سمحت بذلك هي الكتابة فأوّل مرّة استعملت فيها الكتابة يعتبر بداية التّاريخ أيّ جعل اللّغة الشّفهية ثابتة مرئية متخطّية لحاجز الزّمن⁴، فهي أساس الصّلة بين الماضي والحاضر وتربط الشّعب بماضيه وتراثه الثقافي فهو لا يعرف تاريخ ماضيه الذي قبل جيله إلاّ بالعودة إلى الكتب التي خلّدها السّلف، كما تمنح القدرة على قراءة الأحاديث النّبوية والقرآن الكريم الذي لم يحرف بفضلها، وتسمح بالاضطلاع على الأعمال الأدبيّة لأعظم الأدباء التي بقيت خالدة. وبالتالي فلولا اللّغة لانقطع الحبل الذي يربط بين الشّخص وتراثه ودينه وثقافته، ولا يمكن تحقيق الاستقلال الحقيقي والحفاظ على الهوية القومية وبناء مستقبل دون الالتفات إلى أهميّة اللّغة في تأسيس البناء الثقافي كما أكّد الكاتب أنّ هناك علاقات وطيدة بين فكر الإنسان ولغته فيقول في هذا: "وهناك بين اللّغة والفكر علاقة جدلية،

¹ - أسطورة بابل وعلاقته بالترجمة وتعدد اللغات، المرسال <http://www.almsal.com>، 11 فيفري 2022م، الساعة 15:38. تاريخ النسخ: 26 جويلية 2022، الساعة 12:07، بتصرف.

² - شريف الشوباشي، لتحيا اللغة العربية يسقط سيبويه، ط3. القاهرة: 2004، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص28-29، بتصرف.

³ - المصدر نفسه، ص19، بتصرف.

⁴ - المصدر نفسه، ص21.

فالألغة وعاء الفكر والفكر مضمون اللّغة¹، إذ شبّه اللغة بوعاء والفكر بشيء ملموس آخر يتمّ وضعه داخل هذا الوعاء، ويؤكد بهذا أنّ الفكر واللّغة متّصلان ويكتملان بعضهما البعض ففعل التّفكير لا يتحقّق في استقلال عن فعل الكلام أو الكتابة كون الفكرة تكتسب وجودها الأسمى والفعل فقط عندما تصاغ لغويا، والشوباشي بقوله ذلك يريد أن يؤكد أنّ اللّغة هي التي يبني عليها الفكر وتعطيه معنى، وأنّ كلاهما يساهم في اكتمال الآخر فلا فكر بدون لغة قادرة على إظهار تلك الأفكار ولا أفكار دون لغة لطرحها، ومجموعة الأصوات المتتالية لا تعتبر ذات قيمة لغوية إلّا حين تكون عمادا لفكرة معينة لذا فعدم إدراك أهميّة اللّغة ودورها في البناء الحضاري وإنتاج المعرفة يقود إلى حالة تفهقر وتبعيّة، وصرّح أنّ للّغة تأثير كبير على الحياة الاجتماعيّة وهي التي تتحكّم في تقدّمها وتخلفها وتمثّل أداة التّواصل الأساسيّة وتشكّل الأساس الاجتماعي والتّفاعل مع مجموعة من الأفراد وتنظّم حياتهم ومعتقداتهم، ويستند في هذا إلى موقف علماء الأنثروبولوجي وهم المختصّين بدراسة علم الإنسان، فيقول: "علماء الأنثروبولوجي يرجحون أنّ الإنسان الأوّل كان يدرك الأشياء في البداية كصور مجسّدة فيعقله، فيفكر مثلا في أسد أو نهر فيمثّل كلّ منهما أمامه وظلّ كذلك حتّى بدأ يصدر أصوتا للتّعبير عن الأشياء التي يريد استحضارها ونقلها لغيره"²، بمعنى أنّ المعرفة بالأشياء وإدراجها بمسمياتها و التّفكير في الأحاسيس الغريزيّة التي تنتاب أيّ شخص من فرح وحزن وحب وكره وقلق وجوع وبرد كانت حاضرة منذ عصر الإنسان البدائي، وقد كانت مجرد ادراكات داخلية استلزمت خلق لغة للتّعبير عنها. ومع التّطور الذي مسّ حياته أدرج معه تطور ونمو اللّغة أيضا، ما أنتج فتح آفاق التّقدم والازدهار أمام الإنسان، فالنّطور اللّغوي والنّطور الفكري و فقرها مرتبطان فيما بينها، يقول المؤلّف في هذا المقام: "التّخلف الفكري والإفلاس الحضاري يؤدّيان بالضرّورة إلى اضمحلال اللّغة والتّخلف اللّغوي يعيق العقل عن التّطور الحضاري"³، فهو هنا يربط المستوى الفكري باللّغة، أي أنّه إذا كانت اللّغة مختلفة فإنّ ذلك يؤدّي بالضرّورة إلى التّراجع الفكري ما ينتج تخلف حضاري، كما أنّ التّخلف الفكري يتسبّب في اضمحلال اللّغة.

كما قام الشوباشي بتوجيه قلمه إلى التّحدث عن الأهميّة البالغة التي تلعبها التّرجمة في حياة الشّعب وخاصة السياسيّة والاقتصاديّة. فبعد أن كانت اللّغة تعرف فقط داخل الزّقعة الجغرافيّة الواحدة أصبحت أداة تستعمل بين جميع بقاع العالم بفضل مهنة التّرجمة التي كانت ولا تزال من أكثر المهن ضرورة

¹ - شريف الشوباشي، لتحيا اللغة العربية يسقط سيبويه ، ص 19.

² - المصدر نفسه، ص 21.

³ - المصدر نفسه، ص 20.

الفصل الثاني: تحليل قضايا كتاب (لتحيا اللغة العربية يسقط سيبويه) لشريف الشوباشي

وحاجة إليها باعتبارها: "من أهم مقومات نجاح المجتمعات"¹ حسب ما ذهب إليه الكاتب، فالملتقيات الدولية تستلزم مترجمين، الزيارات الرئاسية تفرض وجودهم، التبادلات والاتفاقيات الاقتصادية والسياسية أيضا تستوجبهم، فهم يلعبون موقعا أساسيا في نجاح الدول في مختلف المجالات. بالإضافة إلى أنه كانت هناك محاولات عديدة قامت على توحيد اللغة، وهذا ما تحدث عنه الكاتب وأيضا قيام العديد من الحركات الاستعمارية أساس نشر لغتهم وثقافتهم والاستلاب اللغوي الذي يقود إلى الاستلاب الفكري والذي بدوره يقود إلى مسخ شخصية مستعمرة. وقد ضرب أمثلة عند ذلك أهمها:²

- محاولات الطبيب الهولندي في القرن 19 بوضع لغة عالمية جديدة سماها "أسبيرانتو" سنة 1987م ليتكلمها جميع سكان الأرض وتوحدهم، ولكن هذه المحاولة انتهت بالفشل، وذهب الشوباشي إلى أن ذلك كان نتاج عدم وجود ثقافة أو دولة تحميها،
- محاولة أدولف هيتلر (1889-1945) بتوحيد كل الناطقين باللغة الألمانية في أوروبا، فمعظم الغزوات التي قام بها كانت قائمة على هدف أساسي وهو اللغة بإقامة إمبراطورية تضم كل أبناء العصر الألماني الناطقين بالألمانية،
- الاستعمار الفرنسي الذي كان أكبر هاجس له هو نشر الثقافة واللغة الفرنسية في الدول الغربية المحتلة من طرفه، فهدفه الحقيقي كان فرنسا العقل والثقافة والقضاء على الهوية العربية الإسلامية، وحقا فرنسا نجحت في ذلك فشعوب المغرب لازالت إلى حد الآن مرتبطة بفرنسا ثقافيا.

فمعظم دول الاحتلال يسيرون وفق مبدأ "إن أردت أن تحكم قوما فاحكم لغته فإنك إن حكمت لغته حكمت تفكيره ووجوده".

واختتم فصله بالتحدث عن المكانة العظيمة التي تشغلها اللغة العربية في نفوس العرب، وأن مهما كان أي شعب يحب لغته، إلا أنه لا يصل إلى درجة عشق العرب للعربية وتبجيله لها فهي قد استولت على عقولهم وسيطرت على أفئدتهم، وأي مساس لها كأنه مساس لهم.

¹ - شريف الشوباشي، لتحيا اللغة العربية يسقط سيبويه ، ص28.

² - المصدر نفسه، ص30-31-33.

2-2- الفصل الثاني: هل هناك لغة عالمية؟

يريد الكاتب عند تناوله لهذا العنوان معرفة: هل هناك لغة يشتركها كلّ بشر العالم ويفهمونها جميعا وتوحدهم وتحقق التّواصل بينهم؟، فهذا هو المفهوم الذي يقصده الشّوباشي حين قال: "فالمعنى الدقيق لكلمة لغة عالمية أنها لغة يفهمها كلّ النّاس في العالم"¹، وفي نظره أنّ لا وجود للغة بلغت هذا المركز في أي عصر من العصور. ثمّ توجه إلى ذكر اللّغات التي استحوذت على العالمية مع مرور الدّهر فقدم أمثلة عن أهمّها حسب أسبقيتها:

- اليونانية قبل المسيح بعدة قرون،
- اللّغة اللاتينية عندما كانت روما القوّة العظمى في العالم،
- اللّغة العربية عند ظهور الحضارة الإسلامية أين أصبحت لغة العلم والمعرفة والتفوق في مختلف المجالات،
- اللّغة الفرنسية بعد عصر النّهضة التي مسّت لغة المعاهدات والدبلوماسية.

فهو يرجوعه إلى هذه اللّغات يريد اثبات أنّ اللّغة الإنجليزية التي يعتبرها كلّ النّاس لغة عالمية ليست الوحيدة أو الأولى التي لقّبت بهذا اللّقب -العالمية- وإنّما التّطور التكنولوجي الذي يعيشه العالم من وسائل إعلام منظورة وتلفزيون وانترنت وغيرها هو الذي منح الإنجليزية فرصة سطوع شمسها كما أنّها لغة الفكر العولمي الذي يعتبر الفكر الحضاري الحديث المهيمن على العالم والذي لم يساعد اللّغات السّابقة وقد ربط شريف الشوباشي عالمية هذه اللّغة: "بالولايات المتّحدة الأمريكية التي اتّخذت من الإنجليزية لغة رسمية لها منذ انشائها عام 1776م"²، وبما أنّ هذه الدّولة تعتبر زعيمة العالم فإنّ كلّ ما يتعلّق بها هو الذي يتزعم السّاحة إمّا في مجالات العلم أو الفنّ، أو الإعلام، أو الصناعة، والسّياسة والاقتصاد كذلك فهي أيضا صارت أقوى لغة في العالم رغم أنّها لا تحتلّ المرتبة الأولى في الناطقين بها واتّخاذها لغة أملاكها تبقى لغة تفاهم بين رجال الدّولة والاقتصاد والمال والسّياسة وفي النّدوات واللّقاءات بين الدّوليين، كما أنّها أضحت الوحش المهيمن على ما تحتويه شبكة الأنترنت وأجهزة الكمبيوتر، ولغة تفاهم بين أشخاص مختلفين في اللّسان اللّغوي. فاللّغة التي لها المقدمة في العالم بالنسبة له هي لغة أهل العلم والحضارة، فقوّة اللّغة من قوّة أهلها.

¹ - شريف الشوباشي، لتحيا اللغة العربية يسقط سيبويه، ص38.

² - المصدر نفسه، ص41، بتصرف.

ثمّ وجّه كلامه للمقارنة بين اللّغة العربية واللّغات الأخرى كالفرنسية والإنجليزية، وسبب ترعّب الإنجليزية على عرشها، فيقول: "قد اجتهد الأمريكيون ليجعلوا من لغة شكسبير لغة مبسطة ومباشرة أصبحت أداة طيّعة يستطيع أي طفل أن يتعلّم قواعدها ويمتلك ناصيتها دون أن يعاني الأمرين كما هو الحال بالنسبة لأطفال الوطن العربي"¹، وهو هنا قام بالإيحاء إلى سهولة تعلّم اللّغة الإنجليزية، فحتّى الطّفّل تكون ميسرة له فما البال للكبار، وذلك راجع إلى الجهود الجبارة التي قام بها الأمريكيون واجتهاداتهم في التّخلص من كلّ ما يسبّب للغتهم الغموض واللّبس وغربلتها وإزالة شوائبها وجعل كتاباتها حسب ما تنطق وليس وفق القواعد اللّغوية التي تبنى عليها الكلمات، إضافة إلى أنّ هذه الدّولة قامت بإنشاء عدّة مؤسسات ومراكز ومعاهد لتعزيز هذا التّطور وهذه التّنمية والحفاظ على صدارتها ما جعل الكثيرين يقبلون على تعلّم الإنجليزية، والذي لم تتجح الدّول الأخرى فيه.

أمّا بالنسبة للعربية فحسب ما تطرّق إليه فإنّها بعيدة كلّ البعد عن ما توصّلت إليه أمريكا، إمّا في مجال التّشّير أو الفنّ أو أيّ مجال علمي مهما كان وخاصّة الأنترنّت الذي ليس لها أثر فيه، وأرجع ذلك إلى صعوبتها وأنها لم تتحرّر إلى الآن من القواعد التي تحكمها رغم هذا التّقدم.

ليصل في نهاية الفصل إلى الأجدر والأقرب إلى لقب لغة عالمية في اللّغة الانجلو الأمريكية، وإذا تمّ التّمعّن في هذا المصطلح سيلاحظ أنّه اقتصر على الإنجليزية التي تتكلّمها أمريكا كونها البلد الذي جعلها تصل إلى هذا اللّقب ويسرّتها وسهّلتها لتكون متاحة للجميع فالأهمّ بالنسبة لهم هو مواكبة التّحديث والعصرنة وليست على استعداد لإضاعة وقتها في الكلمات الرّنانة الفارغة من أيّ محتوى وفي القواعد المعقّدة. وحتّى الأدب العالمي أصبح يعتمد على المعنى والمضمون وليس على زخرفة اللّغة والتّلاعب بالألفاظ.

2-3- الفصل 3: رسالة إلى حراس الضّاد:

يقصد شريف الشوباشي "بحراس الضّاد" الذين يدافعون على التّراث اللّغوي العربي ولا يقبلون أيّ مساس به. وهو هنا أعلن ثورته الهوجاء على قواعد اللّغة العربية التي لم تعد قادرة على مواكبة هذا الزمان حسب نظره ووجه رسالة إلى علماء هذه اللّغة للقيام بانتفاضة تحديّية عاجلة والقضاء على قواعد سيبويه حتّى تستعيد العربية مكانتها بين شقيقاتها وتكون ذات دور بارز في اللّحاق بعصرنة العالم، وإن لم يقوموا بذلك سننقرض ولن يعرفها أحد سوى الباحثين والمختصّين ولن تستعمل في أيّ مجال غير قراءة

¹ - شريف الشوباشي، لتحيا اللغة العربية يسقط سيبويه ، ص45.

القرآن الكريم. كما يرى أنه مع فرض العولمة نفسها على السّاحة العالمية فإنّ العربية الأصلية للبلدان العربية مهدّدة بالزوال على حساب اللّهجات حيث قال في مقدمته: "وأمام هذه التّحديات الخطيرة -تحديات العولمة- فإنّ اللّغة العربية بمفترق طرق حيوي إمّا أن تجدد نفسها فتبقى دائما لغة العرب المشتركة... أو أن تتفوّق على نفسها فتواجه بالفعل خطر الزوال لحساب اللّهجات"¹، فعلى حسب ما أقرّه فإنّ العربية تشهد نفورا من طرف أهلها وخاصة الشّباب لعدم قدرتهم على تعلّم قواعد المعقّدة وتراكيبها وكلماتها الغريبة التي لا ينظّبها العصر الآني فالعالم في تطوّر مستمرّ ففي كلّ ساعة ودقيقة وثانية هناك تطوّر جديدًا يطرأ على سيرورة الحياة ما زاد الشّعور عند العربي بأنّ لغة الضّاد غير قادرة على هذا التّقدم السّريع، إذا فتطويرها هو أمر ضروري لا مفر منه لكي تجاري الزّمن، كونها أهمّ أسباب وعناصر تخلف العالم العربي. والشّوباشي يؤكّد في سطره أنّه لا ينكر بتطوّر اللّغة العربية عمّا كانت عليه سابقا، ولكن هناك اختلاف شاسع بين ظاهرتي التّطور والتّطوير، حيث يعتبر الأوّل ظاهرة طبيعية لا إرادية ولا يمكن مجابقتها لأنّها ضرورية حياتية تحدث من تلقاء نفسها، بينما التّطوير هو جهد إرادي للخروج من مرحلة أو حالة ضعيفة إلى حالة أخرى مزدهرة وهو الذي تحتاجه العربية الآن. وقدّم أمثلة عن العمالة والمفكرين الذين حاولوا دراسة أسباب التّخلف الوطن العربي منهم: رفاة الطهطاوي ولكنهم لم يتطرقوا إلى صلب المشكلة والتمثّلة في لغتهم. وقام بتقديم أمثلة عن الذين يقترفون أخطاء لغوية فادحة رغم مستواهم الدّراسي الرّيفع وعلو مكانتهم الاجتماعية والدّولية، مثل:

- الشّباب المتخرجون من أفخم الجامعات العربية تكون لغتهم ركيكة،
- المسؤولون من رؤساء وحكام وأغلبهم يقعون في أخطاء لغوية أثناء خطاباتهم وأحاديثهم إضافة إلى المذكرات الرّسمية والدّواوين العامّة الحكومية فإنّها لا تخلو من اللّحن.

ويوجّه لهم رسالة فيقول: "لا تقلقوا فالعيب ليس فيكم ولكنّه في اللّغة التي لم تشملها سنة التّطوير"²، بمعنى أنّ السّبب في ارتكاب الأخطاء اللّغوية لا يقع عاتق مستخدمي العربية وإنّما الخلل الموجود بالأساس في اللّغة نفسها لذا لا داعي للشّعور بأيّ عفة نقص أو القلق لعدم إجادة العربية إجادة سليمة. ثمّ ذهب إلى أنّ كلّ لغات العالم شهدت تطوّرًا ملحوظًا، فعدد بعضها والتي تغيّرت بشكل نسبي أو

¹ - شريف الشوباشي، لتحيا اللغة العربية يسقط سيبويه، ص 11.

² - المصدر نفسه، ص 12.

- بصفة جذرية لتصبح في الصورة التي تخدم وطنها وعالمها، ومن بينها:¹
- اللغة الفرنسية التي كتب بها مونتني مختلفة بشكل كبير عن الفرنسية التي يستخدمها الكتاب الحاليين إمّا من حيث الأسلوب والكلمات، إمّا من حيث القواعد النحوية والصرفية.
 - اللغة الإنجليزية التي كتب بها شكسبير في وقته والإنجليزية المتداولة حالياً غير متطابقتان إلى حدّ كبير إمّا في الأسلوب أو التركيب.

في المقابل يرى أنّ العربية هي لغة الوحيدة على وجه الأرض التي لم تتغيّر لا قواعدها ولا تراكيبها منذ ألف وخمسمائة عام، وهذا يعتبر جموداً وتحجراً للعقل العربي فحاجيات الإنسان العصري ليست نفس متطلبات الشخص البدوي القديم لذا فتطوير نمط العيش يستدعي بالضرورة تطوير لغة التعبير التي تعكس ضروريات المجتمع كونها في حالها هذه حسب تعبيره غير قادرة على استيعاب الثقافات المعاصرة وقاصرة على مواكبة التطورات التقنية والتكنولوجية في عصر الانفجار العلمي، كما طلب من الناطقين بالعربية وعلمائها عدم الاستماع إلى دعاوي حراس الضاد الباطلة وعدم السماح لهم بالتأثير فيهم في مسألة تجديد اللسان العربي لأنّه يعتبر "قطيعة مع الدين وخروج عن تعاليمه"²، فهم يعتقدون أنّ أيّ تفكير يكون خارج عن ما وضعه السلف يعدّ ضربة على الأمة الإسلامية والدين وأيّ مساس بقواعد القدامى فكأنّه مساس للقرآن الكريم، لذا جاء الشوباشي موازي لهذه الفكرة وأنّ كون اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم هو الذي يجعل الحرص والحفاظ عليها واجبا وضرورة وهذا يتطلّب العمل على تطويرها، وأنّ كلّ ما دعا إليه هؤلاء ليس إلاّ تخويف وترويع للاستقرار في حفرة التخلف.

2-4- الفصل 4: هل العربية مقدّسة؟

يقصد بكلمة قديسية شيء طاهر جديد بالتعظيم والتقدير والإكبار وهو أرفع قدرا وأعظم منزلة وأوقر شأنًا، وشريف الشوباشي يتناول في هذا الجزء من الكتاب قضية قداسة اللغة العربية. وذلك بطرحه لعدة تساؤلات هي:

- هل العربية لغة مقدّسة؟،
- هل العربية أفضل اللغات؟،
- هل العربية لغة توفيقية أم اصطلاحية؟،

¹ - شريف الشوباشي، لتحيا اللغة العربية يسقط سيبويه، ص 53-54.

² - المصدر نفسه، ص 61.

- هل من الضّروري أن يجد كلّ مسلم العربية؟،

- هل المساس بالعربية مساس بالدين والقرآن؟.

فهو أعلن رفضه التّام لفكرة قديسية اللّغة العربية ويرى أنّ هذه النّظرة للعربية وإلى ارتقاء النّاطقين بها إلى مستوى أعلى عن باقي بني البشر تتناقض مع جوهر الإسلام ومضمون الرّسالة السّماوية. وقد ذكر أنّ هناك نظرتين مختلفتين في رؤيتهما للّغة هما¹:

- النّظرية الأولى: تعتبر أنّ اللّغة العربية توقيفية أي منزلة من السّماء لذا لا يجب أن يطرأ عليها أيّ إضافة أو تعديل وهو أبدى رأيه المعارض لهذه النّظرية كونها في اتّجاه معاكس تماما مع ما جاء به القرآن الكريم واعتبار اللّغة العربية أقدس اللّغات والقول بأنّ العرب هم الشّعب المفضل عند الله تعالى هو منافي تماما لتعاليم الإسلام القائمة على مبدأ المساواة بين جميع أبناء بني آدم عليه السّلام مهما كانت اختلافاتهم .

- أمّا النّظرية الثّانية: فهي جاءت معاكسة للأولى وتصف اللّغة العربية على أنّها اصطلاحية بمعنى أنّ النّاس قد اصطالحوا على مجموعة من الكلمات والمفردات موجودة في واقعهم الثّقافي وتجاربهم ثمّ وضعوا قواعد لضبط لغتهم هذه شأنها شأن غيرها من لغات العالم.

ويؤكّد أنّ هؤلاء الذين يربطون بين العربية والدين ويحاولون زرع هذه الأفكار من عقول غيرهم غايتهم الوقوف أمام أيّ تطوّر قد يلحق باللّغة، ويسعون إلى منعها من مجارة العصر، كما يقول: "يزعم أصحاب هذه الأفكار ليست فقط اللّغة التي نزل بها القرآن، ولكنّها لغة الدّين ذاته، وبالتالي فهي محاطة بقديسيّة خاصّة ترفعها إلى مرتبة تجعل المساس بها نوعا من أنواع الكفر"²، لكنّه ينفي هذا وأنّ لو كانت هذه اللّغة حقّا مقدّسة منزلة من السّماء لكان كلّ البشر العالم يتحدّثون بها، لكن الواقع عكس ذلك تماما. وقدّم بعض الإحصائيات مثل أنّ 96 بالمئة من أبناء البشرية لا يعرفونها وأيضا 81 بالمئة من المسلمين أنفسهم يجهلونّها تماما، وأيضا لو كانت بالفعل مقدّسة لكان الدّين الإسلامي موجّه لفئة محدّدة وهم العرب وحدهم وللّذين يتقنون هذه القدرة اللّسانية وفرضها الرّسول عليه الصّلاة والسّلام، وبالتالي لن تتحقّق الغاية من هذه الرّسالة السّماوية الموجهة لجميع الأمتة الإنسانيّة وفي العالم أجمع هناك مسلمين أجنبيّ وعددهم يفوق عدد المسلمين العرب، ويتقنون التّعاليم الإسلاميّة وينفذونها على أكمل وجه.

¹ - شريف الشوباشي، لتحيا اللغة العربية يسقط سيبويه، ص71-72-74.

² - المصدر نفسه، ص71.

ثم وجه حديثه إلى التأكيد بأن القرآن الكريم هو المقدّس وليست اللّغة كونه جاء بمفردات كانت في متناول كلّ عربي آنذاك ومفهومة لدى الجميع إلّا أنّه لم يستطع أيّ أحد الإتيان بمثله أو تقليده في شيء، وبالتالي فالإعجاز في القرآن وليست في اللّغة العربية، وأنّ هذه الأخيرة هي أداة لهذه المعجزة: "فالقرآن نزل بالعربية حتّى يفهمه أهل الجزيرة العربية التي هبط فيها الوحي على أشرف أبنائها وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم"¹؛ أيّ أنّه نزل بالعربية فقط لكي يفهمه القوم الذي نزل في زمانهم كما قال أيضا: "عشق العرب يتمثّل في التلاعب بالكلمات"²، وهو يريد هنا أن يقصد أنّهم لم يكونوا ينظرون إلى اللّغة على أنّها وسيلة للتّفاهم بل للعبث وإضاعة الوقت جريا وراء السّجع والجناس أو الطّباق... إلى غير ذلك من ألوان الرّينات الشّكلية التي يوكّد أنّها لا تفيد في شيء.

2-5- الفصل 5: المسيحيون والعربية:

صبّ الكاتب تحت عنوان "المسيحيون والعربية" مشكلة رآها جدّ مهمّة تتمثّل في: سيادة فكرة أنّ المسيحيين لا علاقة لهم باللّغة العربيّة وأنّ أصحابها هم المسلمون لا غيرهم، بالإضافة إلى احتكار المسلمين على تدريس العربية في المدارس وحدهم دون المسيحيين، وذلك طبقا لفكرة قديسية العربية. هو طرح هذه القضية لأنّه أراد أن يوكّد أنّ للمسيحيين نصيبا بارزا في تطوير العربية واتّخاذها القالب الذي هي عليه الآن وكانوا في ذلك يدا واحدة مع المسلمين بل كان دورهم أسبق، وأنّها لم تكن مقصورة على المسلمين لأنّها كانت موجودة قبل الإسلام وتحدّث بها العديد من المسيحيين العرب. كما سعى إلى إثبات فكرة أساسية ألا وهي أنّ لهؤلاء المسيحيين تأثير في تطوير معالم الحياة الإسلاميّة في مختلف النّواحي الأدبية، الاجتماعية، الاقتصادية والسياسية. بالإضافة إلى أنّ العربية كان لها وجود قبل الإسلام بكثير، ففي العصر الجاهلي كان الشعراء المسيحيين وحتّى من اليهود برعوا في نظم أشعار بلغت أرقى المستويات، وحتّى عصر ما قبل الإسلام ذاع صيت العديد منهم أمثال عدى بن يزيد النّصراني الذي حظي بمكانة شعرية ضخمة، وهناك أيضا أهمّ شاعر عُرف في الجيل المخضرمين وهو الأعشى الذي

¹ - شريف الشوباشي، لتحيا اللغة العربية يسقط سيبويه، ص74.

² - المصدر نفسه، ص84-17.

الفصل الثاني: تحليل قضايا كتاب (لتحيا اللغة العربية يسقط سيبويه) لشريف الشوباشي

عرف ببلاغته وفصاحته المتميزة¹، ونفس الأمر في العصر الأموي فالشعراء المسيحيين كان لهم شهرة كبيرة أبرزهم الأخطل والقطامي². فكل هؤلاء أثروا على اللغة العربية بتغيرات لم يسبقهم أحد إليها.

ولكن في العصر العباسي تغيرت الموازين لما سيطرت النزعة الدينية على حياة الشعوب آنذاك نتيجة سطو الأعاجم على الخلافة وأبحروا في الدين أكثر فأكثر كونه مصدر قوته وشرعيتهم، وهذا أدى إلى بروز الشعوبية عند العرب كرد فعل على هؤلاء الأعاجم ما زاد عندهم الرغبة الشديدة في تطوير اللغة العربية ودراستها أكثر للتأكيد على مدى تمسكهم بالدين الإسلامي وإيمانهم به، ومن هنا بدأت فكرة أن اللغة العربية لغة مقدسة وأنها لغة المسلمين فقط ولا دخل المسيحيين فيها، فأصبح تدريسها يتم فقط في المدارس والمساجد الدينية وارتبط بحفظ القرآن الكريم. كما ساهم المسيحيون خاصة في العصر الجاهلي في بلورة الكتابة وهم الذين كانوا وراء تطورها، حتى حركة الترجمة كانت على يد عمالقة الفلاسفة والمفكرين المسيحي أمثال: قسطا بن لوقا (ت912م)، وحنين بن إسحاق (ت173م)، ويحيى بن عدي (ت175م) وغيرهم، إضافة إلى إسهامهم في صناعة الطباعة فأول المطابع العربية نشأت على يد المسيحيين، ومن الأمثلة التي قدمها³:

- أول مطبعة صرفة في الشرق كانت على يد "البطريك أنثاسيوس الرابع" سنة 1698م،
 - أول مطبعة عربية في لبنان هي مطبعة "ماريوحنا الصايغ" عام 1732م،
 - مطبعة القديس "جاور جيوس" في 1703م،
 - المطبعة الأمريكية في 1874م ببيروت،
 - مطبعة المعارف لـ "بطريس البستاني" و"خليل سركيس" 1867م،
 - المطبعة الأدبية أنشأها "خليل سركيس الرابع" عام 1874م،
 - المطبعة القبطية بمصر أنشأت على يد "الأنباكيرلس الرابع" سنة 1860 م،
- بعد ذلك انتشرت المطابع في العالم العربي بعد الحرب العالمية الأولى .

وفي عصر النهضة ظهر العديد من الشعراء المسيحي حاولوا إحياء التراث الشعري العربي فسيطروا على الصنوف الأولى في الإبداع الشعري بعد انقطاعهم لزمان طويل بسبب التعصب اللغوي الذي عانوا

¹ - شريف الشوباشي، لتحيا اللغة العربية يسقط سيبويه، ص94.

² - المصدر نفسه.

³ - المصدر نفسه، ص102-103، بتصرف.

الفصل الثّاني: تحليل قضايا كتاب (لتحيا اللغة العربية يسقط سيوييه) لشريف الشوباشي

منه، ومن أهمهم: بشارة الخوري (ت1964م)، وخلييل مطران (ت1949م)، وبروز شعراء المهجر بإنشائهم قصائد عن الشوق للوطن العربي: أمثال: إيليا أبو ماضي (ت1957م)، وميخائيل نعيمة (ت1988م)، وسليم الخوري) ت1984م.¹

كما سعوا إلى إنشاء وتطوير فن الصحافة، وقد ذكر عددا منها وهي:²

- الصحافة العربية "الأهرام": بالإسكندرية سنة 1876م على يد سليم الخوري وبشارة،
- دار الهلال أنشأت على يد جورج زيدان (ت 1914م) عام 1892م في لبنان،
- صحيفة "المحرسة" عام 1990م على يد أديب إسحاق (ت 1885م) وسليم النقاش (ت1884م)،
- صحيفة "الرائد المصري" لنقولا شحادة في 1896م،
- مجلة "الزهور": أنشأها مسلم ومسيحي هم الشيخ أمين تقي الدين (ت1937م) وأنطون الجميل (ت 1948م)،
- جريدة "الجنيّة" لسليم البستاني (ت1884م) في لبنان سنة 1871م،
- مجلة "الشمس" لجورج متي (ت 1925م) وجورج سمان سنة 1900م،
- مجلة "زهيرة بغداد" للآباء الكرمليين عام 1905م ببغداد،
- مجلة "إكليل الورد" للآباء الدومنيكان في 1902م في الموصل.

وهذه هي الأمثلة التي أوردها الكاتب عند إسهامات المسيحيين في هذا المجال.

بالإضافة إلى ما قدّموه في الترجمة من إسهامات تستحق التقدير، فالأوائل الذين عرفوا فيها هم اللبنانيون المسيحيون أين ترجموا الأدب الفرنسي والإنجليزي إلى اللغة العربية. ولهم إنتاجات لغوية عديدة حيث ألفوا كتب نحوية وصرفية دراسة للقواعد اللغوية، ومن هؤلاء: ناصيف اليازجي (ت 1871م) صاحب كتاب: "تار القرى في شرح جوف الفرا"، "الجمانة في شرح الخزانة"³.

إضافة إلى إصدارات دافعوا من خلالها عن اللغة العربية وإبقائها على نقائها، كمجلة "لغة العرب" لأنسطاس الكرمل (ت1947م)، وكتاب بعنوان "لغة الجرائد" لإبراهيم اليازجي (ت1906م).

¹- شريف الشوباشي، لتحيا اللغة العربية يسقط سيوييه، ص103.

²- المصدر نفسه، ص104-106.

³- المصدر نفسه، ص106.

إنّ المؤلّف أراد أن يمحو فكرة أنّ العربية للمسلمين، ودافع عن المسيحيين وأرجع لهم الفضل فيما وصلت إليه لغة الضّاد وأنّ لهم دور كبير في تطويرها وتحسينها والدّفاع عنها وكانوا أوفياء لها حتّى في الوقت الآتي.

2-6-6: المتنبّي يخاف من الإعراب:

الكاتب من خلال هذا العنوان لا يريد أن يقول أنّ المتنبّي يخاف من إعراب الكلمات من حيث موقعها في الجملة والحركات الظّاهرة عليها أو من حيث القواعد إلى غير ذلك، فهو بهذا العنوان يريد أن يجيب على سؤال: لماذا هجر عرب العصر الحديث اللّغة العربية الفصحى بالرّغم من عشقهم لها وتمسكهم بها واتّخاذها وسائل أخرى للتّعبير؟، أو ليست لغة مقدّسة فكيف قام المسلمون بنبذها وتهميشها؟. فأجاب بقوله: "الفصحى لا تلائم مقتضيات التّفاهم ونقل المعلومات وتفسير حقائق العالم الّذي يعيش فيه العرب، سواء في مصر أو السّعودية أو سوريا أو الجزائر أو في أي بلد عربي آخر. وظهرت اللّهجات كبديل تلقائي على لسان الشعوب لصعوبة استخدام العربية في حيز التعامل اليومي"¹، فهو هنا يرى أنّ اللّغة العربية الفصحى إنّفّت حولها عباءة التّعقيد والصّعوبة حتّى أصبحت غير قادرة على التّحرك وفق مقتضيات أهلها فجعلتهم يعرضون عنها، ويتّخذون اللّهجات وسيلة لذلك عوضا عنها. ويذكر أيضا أنّ مشكلة صعوبة اللّغة العربية ليست مقصورة على العصر الحديث فقط، بل تعود إلى الماضي البعيد ويستشهد على ذلك بقول المتنبّي:²

وكلمة في طريق خفت إعرابها فيهتدي لي فلم أقدر على اللّحن

ويريد المتنبّي من هذا البيت أنه أثناء هروبه كان خائفا من النّطق بلغته العربية سليمة خشية من أن يكشف النّاس هويته وأنّه ينتمي إلى النّخبة الّتي تحرص بشكل مفرط على صفاء اللّغة والأسلوب من الأخطاء والشوائب فهو يجعل نفسه خائفا من التّكلم باللّغة السّليمة فهذا يعني أنّه شخص غير عادي واستثنائي .

وكرّر الكاتب هجومه على الفصحى وقواعدها، وعدم قدرة أيّ شخص على الاستيعاب السّوي لها، فإذا تمّ عرض الآثار الفنيّة النّقافية الّتي تركها القدامى أمثال قصيدة المتنبّي أو ديوان البحّري أو أبي

¹ - شريف الشوباشي، لتحيا اللغة العربية يسقط سيبويه، ص111.

² - المصدر نفسه، ص117.

تمام، أو الكتب القديمة ككتاب الأغاني لأبو الفرج الأصفهاني (ت356م)؛ فإن الأقلية النادرة فقط من سيدركون مقاصدهم ويفهمون ما يتخلل ثناياه من معاني وهؤلاء الأقلية فقط المتخصصين في الآداب واللغة العربية، أما الأشخاص العاديين فيستندون إلى شروحات، يقول في هذا: "الغالبية العظمى من المصريين والعرب غير قادرين على استيعاب الشعر القديم والأدب الكلاسيكي دون شرح مستفيض"¹، بمعنى أنّ الإنسان العادي من المستحيل أن يفهم ذلك التراث إن لم تتوفر هناك واسطة بينهما تشرح له المقصود بتلك الأشعار والمؤلفات.

كما أجرى مقارنة بين اللغة العربية وغيرها من اللغات العالم كالفرنسية والإنجليزية. وضرب مثالا عن ذلك برفاعة الطهطاوي، وكيف استطاع إتقان الفرنسية في وقت قصير مدللاً على ذلك بخطاب كتبه الطهطاوي بالفرنسية يخلو من الأخطاء اللغوية. وفينهاية حديثه عن هذا الموضوع أكد بأن: "الشعوب العربية شعوب جاهلة وعاجزة عن استيعاب لغتها الأم"²؛ فهو هنا وضع حكماً على العرب بأنهم جهلاء في فهم اللغة العربية الفصحى ثم حدّد تحديده لسبب ذلك وأنه راجع إلى اللغة في حدّ ذاتها فهي الآن تواجه تحديات خطيرة تتمثل في عدم قدرتها على إيداع صيتها العظيم في العالم ومواكبة العصر الحديث، والنتائج عن إهمال أهلها لها واندفاعهم نحو العامية واللهجات ونحو الثقافات الغربية، فدعا إلى ضرورة تطويرها وتجديدها لمعالجة وضعها هذا.

2-7- الفصل 07: شيزوفرينيا لغوية:

بسّط شريف الشوباشي يده للحديث عن أكثر اضطراب مسّ كيان المجتمع العربي ألا وهو شيزوفرينيا لغوية ويعني بها حالة الازدواجية التي يعيشها العالم العربي، وتتجلّى في انبثاق مشاهد تعبيرية تتمازج فيها الفصحى وشظايا اللغات الأجنبية التي تتصادم مع العربية الفصحى في ذهن الشخص. فيقرّر الكاتب أنّ اللغة العربية مصابة بمرض الشيزوفرينيا، ويفسر أنّ هذه الحالة اللغوية في الماضي كانت مقصورة على شريحة محدودة في المجتمعات العربية القديمة لكن هذه الحالة اتّسعت مع انتشار التّعليم وتكّلف العقل العربي إرهاقا ذهنيا يحطّ من قدراته وتشتّت ملكاته الفكرية³، وهو يجد أنّ حتّى في العصور الذّهبية للدولة الإسلامية كان الناس يخطئون فيها ويخلطونها مع اللهجات، تماما كما يحدث مع العرب

¹ - شريف الشوباشي، لتحيا اللغة العربية يسقط سيبويه، ص114.

² - المصدر نفسه، ص123.

³ - المصدر نفسه، ص 127-128، بتصرف.

القرن الحادي والعشرين. ويصرّ على أنّ اللّغة العربية الأصلية الّتي هي لغة القرآن الكريم ولغة التّراث العربي ليست نفسها اللّغة الّتي كان يتكلّمها العرب حتّى في زمن الرّسول صلّى الله عليه وسلم قد كانت مختلطة باللّهجات. كما يؤكّد أنّه كلّما طالت وازدادت المسافة الزّمنية بعدا عن زمن نزول القرآن الكريم عزف العرب عن استخدام اللّغة العربية الفصحى ومالوا أكثر إلى اللّهجات العاميات، فيقول في هذا: "وكلّما ابتعدنا زمنيًا عن اللّحظة الفاصلة وهي نزول القرآن كلّما ابتعد النّاس عن الفصحى لحساب اللّهجات في مكان بالعالم العربي"¹، بمعنى أنّ مرور الزّمن عن عصر النّبوة وتزول كلام الله المقدس أصبحت اللّهجات تهيمن على اللّسان العربي بينما الفصحى باتت اللّغة الّتي يصطنعها الأدباء من كتّاب، وشعراء، والطلّاب المتعلمين في شتى الأجناس المعارف والعلوم نظرا لكونها لغة الشّعير القديم ولغة التّراث وأهمّ من ذلك لغة القرآن الكريم.

وبالتّالي يتّضح لنا أنّ اللّغات الأجنبيّة لم تعد المنافس الأوّل للفصحى باللّهجات العاميّة الّتي استولت على منابر الإنسان إمّا السّمعية وإمّا البصرية، وفي المجالس الفكرية وفي أقسام التّدريس والعروض التّفزيونية والمسلسلات ووسائل الإعلام الاجتماعيّة. كما يذهب إلى القول بأنّ ما يزيده من حدّة المشكلة هو عندما يطمح الشّخص العربي للتّقدم في العمليّة التّعليميّة وتطوير قدراته يضطر إلى إجادة اللّغة الأجنبيّة كالإنجليزيّة مثلا بدلا من البقاء على لغته وإيجاد حلّ آخر، نفس الأمر مع المتخصّصين في العلوم الأخرى فمن يريد ممارسة مهنة الطّب أو الهندسة أو غير ذلك فإنّه يتّخذ من المصادر الأجنبيّة مرجعا له، ولا يعتمد على العربيّة أبدا كونها بعيدة كلّ البعد عن التّطور الّذي لحق هذه الميادين.

ويطرح الكاتب أكثر تساؤل أكثر جدية وخطورة في نظره وهو: "هل تصبح اللّغة العربية الفصحى مثل اللّاتينية؟ أي لغة تفرخ لغة أخرى في باطنها لكنّها لا تستخدم في حدّ ذاتها وتحوّل إلى لغة ميتة؟"²، وهو بهذا التّساؤل كأنّه يحذّر ممّا هو آتي والحال الّذي ستكون عليه العربية الفصحى في السّنوات الآتية.

كما يقول محاولا استنهاض علماء اللّغة العربية على الواقع الأليم الّذي يعيشونه: "علينا ألا نكتفي بالقول بأنّ العربية هي لغة القرآن يتحدّثون بها إلى الأبد، فهذا لا يكفي وإنّما علينا أن نعمل جاهدين على تطويرها حتّى تلائم احتياجاتنا الّتي تفاخر بها الآخريّن"³، بمعنى ضرورة التخلّص من فكرة أنّ اللّغة

¹ - شريف الشوباشي، لتحيا اللغة العربية يسقط سيوييه، ص 134.

² - المصدر نفسه، ص 132.

³ - المصدر نفسه، ص 133، 134.

الفصل الثّاني: تحليل قضايا كتاب (لتحيا اللغة العربية يسقط سيوييه) لشريف الشوباشي

العربية لغة مقدّسة، وأنّ الإنسان قادر على التّدخل فيها ويتحكّم بمسيرتها وإحيائها، ويدعو إلى اللّزوم بتيسيرها وفق ما يتناسب مع العصر الجاري.

وهناك العديد من الباحثين والمفكرين الذين أقدموا على القيام بعدّة اجتهادات، واقتراح عدّة حول لعلاج هذه الحالة المرضية التي تؤدّي بالعربية إلى الهلاك وهناك اقتراحات لاقت رفضاً من قبل الشوباشي وهي: هجر الفصحى وجعل اللهجات اللّغة الرّسمية في جميع الدّول العربية، ومن بين الذين تبوّأوا هذه الفكرة يذكر المؤلّف:¹

- الألمانيّ "فلم سبيثا" سنة 1880م من خلال كتابه قواعد اللّغة العربية العامية في مصر، والإنجليزيّ "سلوين ولمور" عام 1901م عن طريق مؤلّفه "العربية المحلية في مصر"،
- "ويليام ولكوكس" من خلال مقال في مجلة الأزهر بعنوان: "لم لم توجد قوة الاختراع لدى المصريين إلى الآن"،
- ولوكوكس من خلال ترجمته للإنجيل إلى العامية في 1925م .

فحسب ما يفهم من خلال رفض الشريف الشوباشي من تكريس العامية كحامل للهوية النّقافية عن اللّغة الفصحى الأصلية هو انتحار جماعي على عتبات التّاريخ بدل التّفكير في الحلّ. ويقوم بالدّعوة مجدّداً إلى الإسراع بالاتّفاق على سبل تطوير اللّغة بإرادة عربية مشتركة والسّعي إلى التّقريب بين الفصحى والعامية من أجل الارتقاء بلغة الضّاد لأنّ الوضع المزريّ الحاليّ معرقل للتّقدم ومعطلّ لطاقة العقل العربيّ.

2-8- الفصل 8: غاية اللّغة:

يدور هذا الفصل المسمّى ب: "غاية اللّغة" حول رؤية شريف الشوباشي إلى اللّغة، أو بتعبير آخر ماهية اللّغة العربية وما أهميتها في حياة الفرد والمجتمع العربيين؟.

لقد وضح الكاتب أنّ غاية اللّغة هي التّواصل وأنّها وسيلة تعبير وتفاهم مع الآخرين، ثمّ اتّجه إلى القول بأنّ المجتمعات تشنّد عن هذه القاعدة، وتعتبر اللّغة غاية في حدّ ذاتها. فالعربية كما تستخدم للتّعبير والتّفاهم والتّواصل تستخدم أيضاً في الطّرب والزّخرفة الكلاميّة كما كان يحدث في عهد الخلفاء والأمراء فيقول: "وفي قصور الخلفاء والأمراء كان الشّعراء والعلماء يتسابقون لاستخراج كلمات ومعاني

¹- شريف الشوباشي، لتحيا اللغة العربية يسقط سيوييه، ص139.

الفصل الثّاني: تحليل قضايا كتاب (لتحيا اللغة العربية يسقط سيبويه) لشريف الشوباشي

مبتدعة وينفقون في اللّعب بالألفاظ من أجل إرضاء القادرين على منح العطايا¹، بمعنى أنّ اللّغة العربية كانت في تلك الفترة تركز فقط على الكلام التّشكيلي الذي كلّه ألوان لفظية ومحسنات واستعارات وألحان طمعا لنيل إعجاب أصحاب المقام العالي وكسب الأموال. وللّغة أيضا تأثير قوي على العقل الإنساني وتصرفاته وأنّ بينهما علاقة تلازميّة تبادلية فيقول في هذا: "العلاقة بين العقل واللّغة هي علاقة تبادلية. فاللّغة تعبّر عن روح المجتمع بنفس القدر الذي تؤثر فيه"²، في أيّ مجتمع يكون محصورا ومقوقعا داخل قالب لغويّ يعبّر عنه ويميّزه عن غيره. ومن الأمثلة التي أوردها المؤلّف في هذا المقام:³

- اللّغة العربية لغة التّواصل ولغة الأدب والبلاغة،
- اللّغة الإنجليزيّة تعبّر عن الرّوح العمليّة التي يتميّز بها الشّعب الأمريكي والإنجليزي، ومدى سهوله ثقافتهم،
- اللّغة الألمانيّة تعكس الدّقة والانضباط اللّذين يتّسم بهما الألمان،
- الفرنسيّة لغة الوضوح والسّلاسة والبساطة .

وركّز على لغة الضّاد التي حسب تعبيره تلعب دورا هائلا فينشكّل العقل العربيّ فهي التي تبني شخصيته واتّجاهاته الحيّاتيّة التي يؤمن بها. كما ساهمت انطلاقا نحو التّطور منذ ظهور القرآن الكريم وتوالي الابداعات الشّعريّة والنّثريّة في العصر الإسلاميّ والأمويّ ثمّ العباسي، فالعربية جعلت عقل الفرد العربيّ منفتح للعديد من النّطاقات الأدبيّة وفتح المجال له للإبحار والإبداع فيها، ما زاد من سموّ المشاعر والأحاسيس لديه، وحب الاستمتاع بالحياة وملذّاتها.

ورغم هذه الإيجابيات الرّاقية للّغة إلّا أنّ هذا لم يمنع من أن تخلق سلبيات كان لها تأثير خطير على العالم العربيّ بصفة عامّة وعلى التّفكير العربيّ بصفة خاصّة، من بينها:

- الجنوح إلى الاهتمام بالشكل على حساب الجوهر، ويستشهد في هذا البيت المتبني⁴ :
- أغالية الدّين أن تحفوا شواربكم يا أمة ضحكت من جهلها الأمم

فالعربيّ بات يهتمّ بالكلمات أكثر من المعاني،

¹- شريف الشوباشي، لتحيا اللغة العربية يسقط سيبويه، ص144.

²- المصدر نفسه، ص144.

³- المصدر نفسه.

⁴- المصدر نفسه، ص147.

- النزعة إلى المبالغة التي استقرت لدى العرب فقد تميّزوا بالبلاغة التي سعوا من خلالها إلى تفخيم كلامهم والمعنى الذي يحمله حتى يؤثر في مسامعه، وحتى تسمية اللغة العربية بلغة الضاد كان بحكم هذه النزعة والقوائد الشعرية والأعمال الإبداعية العربية لا تخلو من المبالغة والتّهويل العنترية، ويستدلّ بقول عمر بن كلثوم:¹

وإذا بلغ الرضيع لنا فطاما
تخر له الجباير ساجدينا

وعلاوة على ذلك فالثقافة العربية في بدايتها حسب ما أورده الكاتب في كلامه كانت قائمة على ثقافة الأذن، فالعربي كان يتخذ السمع معيار صدق أي شيء. بمعنى كل ما يسمعه هو حقيقة دون التشكيك في صحته وكان يتأثر إلى حد بعيد بالشائعات وفي القرون الأخيرة كانت ظاهرة اللف والدوران في الكلام أهم ما كان يميّز لسانهم، والبلاغة في نظره تتحقّق بذلك، فيقول: "وبرغم ما يقال بأنّ البلاغة في الإيجاز فإنّ الواقع عكس ذلك على خطّ مستقيم فبراعة الشاعر والكاتب تقاس بمقدرته على اللف والدوران حول المعنى"²، فبدل من إيصال المفهوم بشكل مباشر واضح يفضّلون اللجوء إلى البلاغة والزينة والكلمات العذبة، فيركّزون على الشكل ويتركون الجوهر. ويؤكد أنّ هذه النزعة استمرت حتى هذا العصر مشيرا إلى عدّة أمثلة تبرهن ذلك كمقولة أحد قادة فلسطين قبل هزيمته 1967م: "لنلقيا إسرائيل في البحر"، الذي لقي ردود فعل غاضبة من الغربيين لأنّهم فهموا من الكلام أنّه سيقتلون كلّ الإسرائيليين ويلقونهم في البحر، فهم لم يكونوا على دراية أنّه نتاج البلاغة المسيطرة على الثقافة العربية. ومثل ذلك خطاب صدام حسين الذي تأثر بتركيبة اللغة العربية أين قال في تصريح عنصري عام 1990م بأنّه في حالة الاعتداء على العراق فإنّه "سيحرق نصف إسرائيل"، وكذلك الصحف العربية لا تخلو من المبالغة³، وكأنّ المبالغة تمشي في شرايينهم ولا يستطيعون التخلّي عنها. حتى أنّ الكاتب استشهد عن ذلك بقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: 2]، وكأنّه يشير أنّ قوله سبحانه وتعالى موجّه للذين يسرفون في المبالغة، فيكتفون بالكلام دون الأفعال ثمّ توجه الشوباشي للحديث عن نشأة وبلورة اللغة العربية، فيقول: "من المهمّ في النهاية أن نعي المناخ النفسي والاجتماعي والعقائد التي كانت يؤمن بها عرب الجاهلية في العصر الذي نشأت وتبلورت فيه اللغة العربية بقواعدها ومنظوماتها التي تتعامل معها

¹ - شريف الشوباشي، لتحيا اللغة العربية يسقط سيبويه، ص 149.

² - المصدر نفسه، ص 157.

³ - المصدر نفسه، ص 151.

الفصل الثّاني: تحليل قضايا كتاب (لتحيا اللغة العربية يسقط سيبويه) لشريف الشوباشي

حتّى الآن¹، فالعربية كانت تعكس في الجاهلية المنظومة العقلية الجاهلية، وما كان العرب يؤمنون به من وجود جن وعفاريت وكهانة وعزّافة وطائر الهامة فألّفوا عن ذلك أشعارا وأبياتا لا تعدّ ولا تحصى"، فيحتجّ بقول الشّاعر ذو الإصبع العدوانى:²

"يا عمرو لا تدع شتمي ومنقضتي
اضربك حتى تقول الهامة: اسقوني"

كما ألّفوا أشعارا ودواوينا تدلّ على مواقفهم النّفسية وعن ما يجول في جوارحهم من شعور وأحاسيس، كقول النّابغة الذبياني:³

زعم العواذل أن فرقتنا غدا
ويذاك خبّارنا الغراب الأسود

فقد كانت هذه اللّغة العربيّة مرآة تعكس الصّورة الدّاخلية لعقل المجتمع العربي، فكما كانت شعلة نضوجه وشموخه في عصر من العصور تحوّلت إلى أهمّ أسباب تخلفه، وجموده نتيجة رفض العرب لأيّ تطوّر قد يطرأ عليها.

2-9- الفصل 09: ضدّ تحنيط العربية:

هذا الفصل من الكتاب أبان عن رؤية المؤلّف للإصلاح الذي ينشده للعربية، حيث يصرّ على ضرورة تطوير اللّغة العربية وخطورة تحنيطها، وأقرّ أنّ تاريخ الفكر العربي زاخر بمحاولات التطوير، إلّا أنّها كانت دائما ما تنتهي بالفشل إذ تجد من يتصدّى لها ويقوم بإجهاضها، وقدم دليلا على ذلك وهو انهزام المعتزلة في العصر العباسي أمام النّيار الذي ينادي بتوسيع اللّغة بالاعتماد على القياس والاشتقاق.⁴

ومحاولات التّجديد لم تقتصر على تلك الحقبة فحسب وإنما حتى في عصر النّهضة حسب ما ذهب إليه الكاتب وبالتّحديد في القرن التاسع عشر ظهرت عدّة تيارات تنادي إلى التّجديد اللّغوي، فاللّغة أصبحت عائق أمام التّعبير، ومن أهمّ الدّاعين إلى ذلك ذكر: الطهطاوي (ت1873م)، والكواكبي (ت1902م)، وقاسم أمين (ت1908م)، إضافة إلى عدّة مجهودات قامت بها الدّولة من جهتها بغية تيسيرها ومن أهمّ هذه الاجتهادات:⁵

¹ - شريف الشوباشي، لتحيا اللغة العربية يسقط سيبويه، ص161.

² - المصدر نفسه، ص161.

³ - المصدر نفسه، ص161.

⁴ - المصدر نفسه، ص163.

⁵ - المصدر نفسه، ص165، بتصرف.

الفصل الثّاني: تحليل قضايا كتاب (لتحيا اللغة العربية يسقط سيوييه) لشريف الشوباشي

- إنشاء لجنة لتيسير اللّغة العربية عام 1938م برئاسة طه حسين (ت1973م)، وقدمت نتائج بحثها للمجمع اللّغوي الذي أقرها في يناير 1945م، وتبنت هذا المشروع مؤتمر المجامع اللّغوية الثّلاثة المنعقد في دمشق 1956م.

ولكن ما توصلت إليها هذه اللّجنة إنهمزمت أمام حراس الضّاد الذين يقومون على مبدأ عدم المساس باللّغة. وقبل أن يقدّم الشوباشي بعض الاقتراحات التّجديدية التي في نظره خادمة للّغة العربية نادى إلى ضرورة الحرص والحفاظ على اللّغة الفصحى وعدم السّماح بفكرة استيلاء اللّهجات على الهويّة العربية فيقول: "والمبدأ الأوّل الذي يجب الاتّفاق عليه قبل الخوض في عملية التّطوير هو ضرورة الحفاظ على اللّغة الفصحى وعدم استبدال اللّهجات بها، فمن اللازم أن يكون هدف التّطوير هو تخليق اللّغة وسط"¹، فهو يبيّن أنّ وراء دعوته الإصلاحية هذه لا تسعى إلى المساس بأسس اللّغة العربية، كونها تمثّل الهويّة والثّقافة العربيّتين، وأهمّ ما نادى إليه:

- إلغاء التّشكيل الذي يمثّل عقبة كأداة في سبيل اتقان العربية، كضربه لمثال: (ضرب الشّاب الرّجل)²، يحتمل معنيين مختلفتين هما: الأوّل: ضَرَبَ الشّابُّ الرّجْلَ، أي الشّاب هو الذي ضرب الرجل. والثّاني: ضَرَبَ الشّابَّ الرّجْلُ، وهنا العكس فالذي أكل الضّرب هو الشّاب من طرف الرّجل.

- معالجة النّقص الكبير الذي تعاني منه اللّغة العربية في حروف العلة وأنّ غالبية حروفها ساكنة والذي يشكّل صعوبة لدى دارس هذه اللّغة، فهي تحتوي على ثلاثة حروف علة وهي بحاجة إلى أكثر من ذلك أمّا الحروف الساكنة فعددها 25 والكثير منها عبارة عن حشو وزيادة لا فائدة منها،

- التّخلص من كثرة المترادفات التي تحتويها لغة الضّاد التي لا تخلف سوى صعوبة الفهم والتّواصل بين الأفراد: "ربما كان ذلك أحد الأسباب وراء الخلافات التّقليدية بين أبناء لغة الضّاد. فهم أحياناً غير قادرين على الاتّفاق على معاني اللّغة التي يتحدثون بها فما بالنا بمضمون هذه الكلمات وفحواها؟"³، فامتلاك كلمة واحدة لدلالات عديدة تؤدّي إلى خلق سوء فهم والتباس بين المتكلم والمكلم،

- التّخلص من التّأنيث في الأرقام والجمع معاً، فيقال مثلاً: (تسع رجال والتسع نساء) على السّواء،

¹- شريف الشوباشي، لتحيا اللغة العربية يسقط سيوييه، ص 165-166.

²- المصدر نفسه، ص 168.

³- المصدر نفسه، ص 170.

- عدم تشكيل المفعول به وألا يكون منوناً أبداً والاكتفاء بجعله ساكناً، فهو يرى أنه من أكثر أسباب تعقيد اللسان العربي ويصرح: "والمشكلة أن المفعول به في العربية لا يعرف من مكانه في الجملة، وإنما من إعرابه وبالتالي من تشكيله"¹.
 - إلغاء المثني الذي اختفى في جميع اللغات الأخرى ما عدا العربية ويصفه أنه: "لا فائدة من المثني إلا زيادة تعقيد اللغة فهجره الجميع إلا نحن"² وتعويضه بصيغة الجمع،
 - تخفيف اللغة من النون النسوة التي لا معنى لها إلا في تمييز النسوة وما تقلل من القيمة الإنسانية وبشكل تفرقة لا داعي لها بين الرجل والمرأة، وهي غير موجودة أيضاً في اللغات الأخرى، ويتم القول: النساء كلهم أكلوا، بدلا من النساء كلهن أكلن. وهما ينحسب على الأسماء الموصولة التي تكتفي العامة فيها بكلمة: "اللي" في كل الحالات، على حين تستعمل الفصحى مجموعة كاملة منها: الذي، التي، اللذان، اللتان، الذين، اللاتي.
 - كما يتهم الكاتب على الجملة الفعلية وإقراره أنها تؤدي إلى التباس المعنى بخلاف الإسمية التي تعبر عن المراد قوله بكل وضوح ودقة³.
- فيختتم فصله هذا برؤيته المتفائلة لغد مشرق للعربية، وفشل كل ما يسعى إليه حراس الضاد والقضاء على تداعيتهم.

2-10- الفصل 10: الاستثناء العربي:

في هذا الفصل يصل المؤلف إلى نهاية مطاف دعوته، ويتعرض فيه لقضية اللغة وموقعها من التكوين الثقافي للشعوب، ويستهل كلامه بفقرة اقتبسها من كتاب (شخصية مصر) للدكتور جمال حمدان، والتي نقول: "وإذا كان لا بدّ من مقياس مدرج للعروبة، فليس جنسياً، وليست بكمية الدّم العربي التي أضيفت، ولكنه كمية اللسان العربي التي استغيرت. بمعنى آخر مقياس العروبة مثل ما هو أساسها اللغة لا الجنس"⁴، بمعنى أن القومية العربية غير مرتبطة لا بالجنس ولا بلون البشرة، وإنما العروبة هي اللسان العربي فأساس الثقافة والهوية العربية ليست بعرقية ولا عنصرية.

¹- شريف الشوباشي، لتحيا اللغة العربية يسقط سيبويه، ، 172.

²- المصدر نفسه، ص173.

³- المصدر نفسه، ص168.

⁴- المصدر نفسه ص183.

وقد وصل الشوباشي إلى استنتاج ما فاده أنّ قضية الإصلاح ينبغي أن تشمل نواحي اللّغة كلّها دون استثناء، وشبه ذلك بتشبيه غريب فيقول: "فهل يعقل مثلا أن ينهب عربي إلى طبيب غربي فيعطيه دواء مناسباً لحالته فيعترض المريض قائلاً: "هذا الدّواء ينفع أبناء بلدك، لكن هذا لا ينفعني لأنّي عربي؟... للأسف أننا نجد مواقف مشابهة لذلك الموقف العبثي عندما نرفض أفكاراً واردة من الخارج بادّعاء أنّها تتناقض مع ثقافتنا وديننا"¹، فاللّغة العربية حسب ما ذكره هي اللّغة الوحيدة التي لم تخضع لتيار التطوير والتّيسير بحجة أنّها لغة القرآن الكريم، وأنّ دعوته الإصلاحية هذه تخدم المسلمين على وجه خاص بما أنّ هدفهم الجوهرى الحفاظ على تراثهم ودينهم.

فكلّ اللّغات الحيّة شهدت تغييراً وتطوراً في منظومتها اللّغوية باستثناء العربية، وهذا التّفكير الذي استثنى العرب من ممارسة التّجارب في العالم هي أهمّ أسباب تخلف العالم العربي عند ركب الحضارة العالمية"²، وتقريره هذا يدلّ على أنّه يرى أنّ من المستحيل أن تدخل العربية في الصّورة التي هي عليها الآن ضمن المجالات العلمية العالمية والتي ستساعد العالم العربي في بلوغ أعلى درجات سلم التّقدم.

ويقرّ أنّ الاستثناء العربي الحقيقي هو التّفافة التي ينفرد بها كلّ مجتمع عن غيره كما هو الأمر عند العرب هو الذي من الضّروري التّمسك به والحفاظ عليه، وليس كما ذهب إليه البعض بجعل الاستثناء العربي "الرفض لأيّ تطوير ملموس في قواعد النّحو والصّرف العربي"³، فهذا يؤدّي إلى تحجر العقل وبالتالي جمود المجتمع العربي بالإضافة إلى أنّ الواقع كما بيّن أنّه من الواجب الافتخار بالتّراث بمختلف أشكاله الفكري والأدبي واللّغوي، وبيّن أنّه من الضّروري إعادة هيكلة قواعد النّحو والصّرف وما رافقهما من تعقيدات، وتدارك ما مرّ من فترات جمود وتراجع.

ثمّ يختتم ما جاء به بقول: "أعلم أنّ الأفكار الواردة بهذا الكتاب ستكون بمثابة خدمة لبعض الذين اعتادوا السّير في الطّرق المعبّدة التي مهّدها السّلف منذ قرون طويلة، ويسير عليها كلّ من جاء من بعدهم في حالة استكانة عقلية غريبة"⁴، فالكاتب من خلال تأليفه الكتاب يدعو من يناصره إلى تعبيد

¹ - شريف الشوباشي، لتحيا اللغة العربية يسقط سيبويه، ص 188.

² - المصدر نفسه، ص 188.

³ - المصدر نفسه، ص 190.

⁴ - المصدر نفسه، ص 192.

الطريق من جديد لغدّ أفضل لهذه اللّغة الرّاقية، كما أنّه متفائل أنّ العرب سيأتي وقت يسعون فيه إلى تبسيط العربية حتّى لو تواجه خطر فنائها.

يعتبر كتاب (لتحيا اللّغة العربية يسقط سيبويه) للأستاذ شريف الشوباشي من أبرز الدّعوي التي تهدف إلى تحرير اللّغة العربية من أسر قواعدها وقبورها، وكان هدفه إزالة جدار كراهية الطّلاب والجيل الجديد لدروس اللّغة العربية النّاتج عن تعقيد قواعدها اللّغوية، والسّعي إلى تطويرها وتخليصها من بعض الرّوائد والحواشي. فقد انطلق من أنّ اللّغة مهمّة للغاية وأوضح أنّها ركن أساسي للثقافة وبالتالي هي جوهر الفكر، وأنّ تطوّر اللّغة سيؤدّي إلى تطوّر الفكر، وأكد أنّه إن لم يقم العرب بتطوير اللّغة فسيكونون بذلك يفتحون المجال أمام أعدائهم للتّخلص من هويّتهم والقضاء عليهم. ولقد اقترح بعض الآراء التّيسيرية، ولكنّه أكّد أنّها أفكار ناتجة عن شخص غير متخصصّ وإنّما رآها خادمة للّغة، مثلاً حذف التّشكيل الاستغناء عن المثني والجمع المؤنث السالم، والتّأنيث في العدد وغير ذلك. فهو أوضح أنّ همّه الأكبر هو أن يندرج العالم العربي في مسارات الحداثة، وتترك بصمة واضحة بجانب البلدان الأجنبيّة في المجالات العلميّة، وتصبح العربية أداة فعّالة في تفجير طاقات العقل العربي التي قيّدتها فكرة قديسيّة اللّغة.

3- مواقف وآراء شريف الشوباشي اللّغوية من خلال كتابه (لتحيا اللّغة العربية يسقط

سيبويه) بين تأييد ومعارضة:

3-1- المؤيّدون:

لقد كان هدف شريف الشوباشي من خلال كتابه (لتحيا اللّغة العربية يسقط سيبويه) هو إزالة الحاجز الذي يمنع تحقيق الاحتكاك بين العرب ولغتهم العربية الفصحى، والدّعوة إلى جعل هذه اللّغة مبسّطة ومخفّفة على دارسها ومتكلّمها. والكثير من العلماء واللّغويين الباحثين كان لهم نفس الوعي والرّأي مع جاء به المؤلّف.

هناك العديد من الباحثين رأيهم من رأي الشوباشي في مسألة العلاقة بين اللّغة والفكر التي قال عنها: "فاللّغة وعاء الفكر، والفكر مضمون اللّغة. والإنسان لا يستطيع أن يفكر بطريقة مجردة وإنّما يفكر من خلال كلمات وتركيبات لغوية تتفاعل في ثنايا عقله، فنقل الأفكار يكون دائماً باللّغة سواء عن طريق

الفصل الثاني: تحليل قضايا كتاب (لتحيا اللغة العربية يسقط سيبويه) لشريف الشوباشي

الكلام أو الكتابة¹، ومن أبرز هؤلاء "طه حسين" الذي يقول: "ونحن نشعر بوجودنا وبحاجتنا المختلفة وعواطفنا المتباينة المتناقضة حين نفكر، ومعنى ذلك أننا لا نفهم أنفسنا إلا بالتفكير، ونحن لا نفكر في الهواء ولا نستطيع أن نفرض الأشياء على أنفسنا إلا مصورة في هذه الألفاظ التي نقدرها وندبرها في رؤوسنا، وتظهر منها للناس ما نريد ونحتفظ منها لأنفسنا بما نريد، فنحن نفكر باللغة، ونحن لانغلوا إذا قلنا أنها ليست أداة للتعامل والتعاون الاجتماعيين فحسب، وإنما هي أداة للتفكير والحس والشعور"²، فطه حسين هنا يؤكد المقولة الديكارتية القائلة: "أنا أفكر إذا أنا موجود" بمعنى أن خاصية التفكير هي التي تحدّد الوجود الفعلي للشخص، إذ بها يدرك ما يجول بداخله ويميّز بين ما هو إيجابي وما هو سلبي، ويفرض سيطرته على جوارحه والأفكار المتضاربة في عقله، ولكن كلّ هذا يبقى غير واضح إلى حين إدراجه داخل قالب لغوي، فيصيغها على شكل تراكيب وألفاظ في رأسه فينقل ما يريد إلى العالم الخارجي، أمّا ما لا يريد فيحتفظ به داخل وسطه المجرد، وبالتالي كلّ أفكاره تبقى مبهمة إلى حين صياغتها لفظيا لتكسي من الوضوح ما يناسبها.

ودعوة الشوباشي القائمة على ضرورة إصلاح القواعد العربية بأسرع وقت للحفاظ عليها ومنع اندثارها والتي تتّضح في كلّ ثنايا الكتاب من بدايته إلى آخره وذلك بسبب رؤيته أنّ اللّغة تعيش في تقهقر وبأنّها تجمّدت ولم تتغيّر منذ 1500 سنة والذي لم يعد يواكب ما توصل إليه العالم، كقوله: "وكلما اجتاحت مظاهر التطور والسّعة إيقاع الحياة مجتمعات العالم العربي كلّما ازداد الشّعور العربي العام وخاصة لدى الشباب بأنّ لغة الضّاد لا تسعف في هذا الزّمان المتسارع الإيقاع"³، قد شهدت عدّة محاولات فقد سبقه العديد من معاصريه إلى هذه الدّعوة أمثال "هادي نهر" الذي صرح في ندوة لغوية تحت عنوان: (اللّسانيات واللّغة العربية): "لقد صارت لغتنا اليوم كمثدنة يلقّها الغبار، فالنّاطقون يضيقون بها، ويهربون من قواعدها وتراكبها، بل إن بعض المتعلّمين لا يعرفون تركيب جملة عربية سليمة السّكنات والحركات"⁴، فهو يقصد أنّ اللّغة العربية صارت مجرد أثاث قديم مهمل لم يعد صالحا للاستعمال وتغطي

¹ - شريف الشوباشي، لتحيا اللغة العربية يسقط سيبويه، ص 19-20.

² - محمود السيد، "التمكين للغة العربية: آفاق وحلول"، مجلة مجمع اللغة العربية في دمشق، سوريا: 30 جوان 2008م، ج2، ع2، ص 301-302.

³ - شريف الشوباشي، لتحيا اللغة العربية يسقط سيبويه، ص 52.

⁴ - هادي نهر، "أشغال ندوة اللسانيات واللغة العربية" الجامعة التونسية، تونس: 13-19 ديسمبر 1978م، سلسلة 4، ص 122.

بالغبار، والعرب أصبحوا ينفرون منها أو بالتالي لا ينفرون منها كلغة وإنما من نحوها وصرفها وجل قواعدها التي تكتنفها.

كما أنّ الأستاذ شريف قد أكد أنّ حتّى التلاميذ والطلّبة لم ينجوا من السقوط في ارتكاب الخطأ في اللّغة العربية، فقال: "وتدلّ كلّ المؤشّرات على أنّ الشّباب حتّى من خريجي أفضل الجامعات العربية أصبحوا يكتبون بلغة ركيكة ويقعون في أخطاء لغويّة فادحة"¹، وتؤيّد في ذلك الدّكتورة بنت الشاطي فتقول: "الظاهرة الخطيرة لأزممتنا اللّغوية هي أنّ التّلميذ كلّما سار خطوة في تعلّم اللّغة العربية ازداد جهلا بها ونفورا عنها وقد يمضي في الطّريق التّعليمي إلى آخر الشّوط فيتخرّج من الجامعات وهو لا يستطيع أن يكتب خطابا بسيطا بلغة قومه، بل قد يتخصّص في دراسة اللّغة العربية حتّى ينال أعلى درجاتها. ويعيبه مع ذلك أن يملك هذه اللّغة التي هي لسان قوميته ومادّة تخصصه، كلّ درس يتلقاه أبناؤها في لغتهم العربية ينأى بهم عنها"²، ففي نظرها أنّ اللّغة العربية التي تدرّس في المؤسسات التّعليمية والجامعات لا تزيد للمتعلّم شيئا سوى الجهل والجمود الفكري، ولا تغذّي عقله بتاتا لأنّه حتّى لو وصل إلى مستوى التّخرّج لا يمنعه هذا من ارتكاب الأخطاء أثناء الكتابة خاصّة بالرّغم أنّها تكون لغة لسانه والمادّة التي يدرسها وينال أعلى الدّرجات فيها فهو لا يفلح بكتابة شيء سليم لغويّا خالي من الأخطاء واللّحن، وحتّى شوقي ضيف يؤكّد هذا بقوله: "جميع البلدان العربية اليوم تشكو مرّ الشّكوى من أنّ الناشئة فيها لا تحسن النّحو أو بعبارة أخرى لا تحسن النّطق بالعربية نطقا سليما، وكأنّما أصيبت ألسنتهم بشيء من الاعوجاج والانحراف جعلها لا تستطيع أداء العربية أداء صحيحا ونخطئ خطأ كبيرا إن ظننا أنّ شيئا من ذلك أصاب ألسنة الناشئة في بلداننا العربية جعلها تعجز عن النّطق السّديد بالعربية، وإنّما يرجع هذا العجز أو القصور إلى النّحو الذي يقدّم إليها، والذي يرهقها بكثرة أبوابه وتفريعاته وأبنيته وصيغته الافتراضية"³، فالناشئة العربية تشكو من خطر يواجهها حقّا ألا وهو عدم صحّة نطاقها اللّغويّة، وأثناء التّحاور معهم يخطئون بشكل مريب أثناء الكلام حتّى إن لم يكن للشّخص الآخر معرفة شخصيّة معهم سيظنّ أنّهم يعانون من إعاقة جسدية في لسانهم أو فهمهم، كون كلّ ما يتفوّهون به ملحنّ وخاطئ لغويا، لكنّ السّبب وراء ذلك النّحو الذي يكبلّ هذه اللّغة وكثرة قواعدها وصيغها وأبنيتها التي لا تعدّ ولا تحصى،

¹ - شريف الشوباشي، لتحيا اللغة العربية يسقط سيبويه، ص 56.

² - عائشة عبد الرحمان بنت الشاطي، لغتنا والحياة، د.ط. القاهرة: 1971م، دار المعارف المصرية، ص 196.

³ - شوقي ضيف، تيسير النحو التعليمي قديما وحديثا مع نهج تجديده، ط 2. القاهرة: 1993م، دار المعارف، ص 03.

الفصل الثاني: تحليل قضايا كتاب (لتحيا اللغة العربية يسقط سيبويه) لشريف الشوباشي

والتّي تجعل أكبر العلماء وما البال بالإنسان العادي يقترف أخطاء تضعه موضع أميّ وجاهل كالذي لم يمسك قلمًا في حياته.

كما هناك سنتكفي الذي يجزم ما ذهب إليه الشوباشي في مسألة أنّ اللّغة يجب أن تتغيّر وفق تغيير بيئتها، فيقول: "إنّ الفصحى القديمة كانت أكثر منطقية في بيئتها الثقافيّة الخاصّة، ويجب أن تكون اللّغة الحديثة منطقيّة على حدّ سواء في عصرها وثقافتها"¹، فهو لا يكذب الذين يذهبون إلى التّمثيل بأنّ العربية كانت ذات قيمة عظيمة قديما وتعبّر عن حاجيات قومها آنذاك وطريقة عيشه ليست نفسها إطلاقًا مع الذي نعيش فيه الآن أمّا من حيث الثّقافة أو التّواصل أو غير ذلك في العالم قد تطوّر حتّى تسير ما حقّقه العالم حاليًا.

كما دعا شريف الشوباشي إلى وضع لغة ثالثة وسط بين الفصحى والعامية فيقول: "تبسيط اللّغة العربية سيكون بتقريبها إلى المنطق اللّغوي للّهجات، ممّا يساعد على تقبّل الفصحى من كل أبناء الوطن العربي، وبعد ثلاثة أو أربعة أجيال ستصل نسبة القادرين على القراءة والكتابة إلى 80 وربما 90 بالمئة وعندئذ ستزداد الحاجة للإيجاد لغة وسط"²، وهذا الاعتقاد قد جاء به الكثير من سابقه من بينهم سلامة موسى الذي أشار إلى تأفّفه من اللّغة الفصحى، كما دعا إلى لغة جديدة عامية فصيحة لأنه يجب أن لا يكون للمجتمع لغتان أحدهما كلامية منطوقة، والأخرى فصحى خرساء تبدوا وكأنّها لغة الكهان"³، فهما يقرّان أنّه لا يجب أن يظلّ المجتمع واقعا داخل فجوة الازدواجية اللّغوية ومن الضّروري وضع لغة تجمع بين كل من العامية والفصحى لخلق لغة ثالثة ميسّرة ويتقبّلها العقل العربي وتكون خادمة لمستلزماته ومتطلباته العصرية.

وقد رأى الشوباشي أنّ أكثر ما يؤثّر على العقل العربي هي نزعته إلى المبالغة فيقول: "الخاصيّة الأخرى الواضحة في العقل العربي والتي تنعكس في اللّغة ثمّ تعود فتؤثّر على الإنسان العربي هي النّزعة إلى المبالغة"⁴، والذي أيّده تماما ممدوح فراج النّابي الذي يقول عنه: "أثار بعض القضايا الخاصّة بالعقلية

¹ - سنتكفيتش، العربية الفصحى الحديثة: بحوث في تطور الألفاظ والأساليب، تر: محمد حسن عبد العزيز، د.ط. القاهرة: 1985م، دار العز للطباعة، ص06.

² - شريف الشوباشي، لتحيا اللغة العربية يسقط سيبويه، ص167.

³ - عبد الله أحمد خليل إسماعيل، "قراءة جديدة في الدعوة إلى العامية"، مجلة الجامعة الإسلامية، القدس: جوان 1997م، ع02، ص73.

⁴ - شريف الشوباشي، لتحيا اللغة العربية يسقط سيبويه، ص148.

العربية وهي بالفعل تحتاج إلى إعادة نظر وفق سياق اللحظة الآنية، مثل إشارته إلى ميل العقل العربي إلى المبالغة، وميل العربي إلى الكلام أكثر من سعيه إلى الفعل، وخوف العربي من مواجهة الواقع وجنوحه إلى الوهم عوضاً من ذلك، ومنها أيضاً ميل العربي إلى المراوغة في الخطاب عن المباشرة. وهي في الحقيقة نقائص يرد إليها الكثير من المفكرين أسباب تخلفنا وتقدم الآخر بعدما كان سبق لنا في الماضي¹، فهو أيضاً اعترف أنّ هذه الصيغ والأسباب والقواعد من أهم أسباب تخلف الوطن العربي الذي كان في يوم ما يحتلّ صدارة التقدم أمّا الآن فقد أصبحت تسيطر على المراتب الأخيرة.

ومن أهم ما طالب به الشوباشي إلغاء التشكيل والإعراب والاعتماد على التّسكين فقال: "من أبرز المفارقات التي تلفت النظر في العربية أنّ الكلمة تأخذ معناها من التشكيل وليس من موقعها في الجملة"²، كما اشتكى من الدلالات الكثيرة التي قد تحملها الكلمة الواحدة: "وما يضاف من المشكلة أن كلمة واحدة ممكن أن تشكّل جملة كاملة في العربية"³، ودعوته أيضاً إلى إلغاء التّأنيث في التّرقية وإلغاء المثني والمؤنث والدعوة إلى تقادي المترادفات، والكثير من باحثي قرنه رأيهم نفسه معه وخاصة صعوبة كلّ هذه القوانين وخصائصها اللغوية على طالب العلم، فهناك عبد الرحمن حاج صالح الذي صرح بـ: "إنّ اطلاعنا على الحصيلة من المفردات التي تقدّم للطفّل في المدارس الابتدائية أظهر لنا -معشر لسانيين في المغرب العربي- عيوباً ونقائصاً في هذه الحصيلة لا يكاد يتصوّرها المرّي، فمن حيث الكمّ، تقدّم للطفّل غالباً كمية كبيرة جدّاً من العناصر اللغوية لا يتمكّن بحال من الأحوال أن يأتي عليها جميعاً، ولذلك تصيبه ما نسميه بالنّخمة اللغوية، وقد يكون ذلك سبباً في توقّف آليات الاستيعاب الذهني الامتثالي، وهذا ما نلاحظه في تنوّع المفردات"⁴، وهو هنا وجّه حديثه إلى المشكلة من حيث كثرة القواعد والمفردات والتراكيب التي تعتبر عبئاً على عقل التلميذ والذي لا يستطيع مجاراتها واستيعابها كلّها. وهناك أيضاً قاسم أمين الذي يجزم بضرورة إصلاح اللّغة، فيقول: "لم أرى بين جميع من عرفتهم شخصاً يقرأ كلّ ما يقع تحت نظره من غير لحن. أليس هذا كافياً على وجوب إصلاح اللّغة العربية، لي رأي في الإعراب أذكره هنا بوجه الإجمال هو: أنّ أواخر الكلمات ساكنة لا تتحرّك بأي عامل من العوامل وبهذه الطّريقة

¹ - ممدوح فراج النابي، "متقف مصري حارب العقل وسيبويه والحجاب معا- شريف الشوباشي حامل لواء اسقاط الخوف"، جريدة العرب، مصر: الأحد 17 ماي 2015م، ع9920، ص09-39.

² - شريف الشوباشي، لتحيا اللغة العربية يسقط سيبويه، ص168.

³ - المصدر نفسه، ص170.

⁴ - عبد الرحمان حاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، د.ط. الجزائر: د.ت، ص180.

وهي طريقة جميع اللغات الأفرنجية واللغة التركية أيضا يمكن حذف قواعد النصب والجزم والحال والاستقبال بدلا من أن يترتب عليه اخلال باللغة إذ تبقى مفرداتها كما هي¹، وتتجلى دعوته في عدم السير وفق نظرية العامل والاعتماد على تسكين أواخر الكلمات دون الحركات الأخرى مثلها مثل اللغات الأخرى، بالإضافة إلى القواعد اللغوية الأخرى كالنصب والجزم والحال والاستقبال، أي الاحتفاظ بالكلمة دون ما يربطها من القوانين وأحكام. كما دعا أيضا إلى ترك المحسنات اللطيفة واجتناب استعمال المترادفات واحتذاء طريقة الكتاب العربيين الذين يعولون في الوصف على ذكر الوقائع والشرح ظروفها وتحليلها تحليلا دقيقا²، أي تجنّب صيغ المبالغة والبيان والبديع أثناء التعبير عن واقع ما أو شرح ظاهرة معينة، والسير وفق الكلام المباشر نقاديا للمطالبة، أمّا بكر عبد الله خف رشيد فيصرّح حول الاستعمالات اللغوية أنّها لم تعد توفي بالغرض فيقول: "يجب أن نعترف أنّ كثيرا من تلك الاستعمالات باتت منقرضة، ولا تصلح إلاّ لمتاحف اللغة، وأنّ وجودها في قاعة الدرس وضمن مناهج التعليم يعيق تعلم اللغة العربية التي نحرص كلّ الحرص على تيسير تعلّمها بالطرائق السلسة والسريعة في التلقّي والفهم"³، حيث يوضح أنّ القوانين اللغوية أضحت مجرد تراث يحتفظ به بمتاحف اللغة، ولم تعد صالحة للتدريس وأنّ ادراجها في مناهج التعليم فذلك يعتبر إعاقة لتعلّم العربية ولا منفعة منها، لذا يجب نقاديتها وإلغائها كليا.

إذا كلّ هؤلاء الذين تمّ ذكرهم وتطرّق إلى آرائهم حول القواعد اللغوية يقرّون أنّ حال العربية اليوم مؤلم جدا ولا يبشر بغدّ أفضل، لما تعانيه من تهيش وعقوق وتجاهل من أصحابها، وأصبحت تعاني من التبعية للغات والثقافات الأجنبية كما أنّها في فجوة وأزمة لغوية خطيرة حادّة بسبب التعقيدات التي تمسّ أحكامها، لذا دعا إلى ضرورة اصلاحها وتسييرها لردّ الاعتبار لها، وتكسب صدارتها من جديد.

3-2- المعارضون:

كتاب لتحيا اللغة العربية يسقط سيبويه لشريف الشوباشي قد أحدث ضجة كبيرة، وصار حديث الشارع المصري الثقافي اللغوي، حيث تمّ اتّهامه من طرف اللغويين وأهل الاختصاص وحتى من طرف

¹ - أحمد أنور الجندي، اللغة العربية بين حمايتها وخصومها، د.ط، القاهرة: 1950م، مطبعة الرسالة، ص88.

² - المرجع نفسه.

³ - بكر عبد الله خاف رشيد، "أثر اللهجات العربية في التأصيل النحوي، مقارنة في القيمة التعليمية، وتيسير مناهج شرح ابن عقيل نموذجا"، جامعة الموصل، العراق: "أكتوبر: 2013م، المجلد8، ع31، ص311.

الفصل الثّاني: تحليل قضايا كتاب (لتحيا اللّغة العربيّة يسقط سيبويه) لشريف الشوباشي

الوزارة الثقافيّة أنّه بمطالبتة تدمير النّحو العربيّ فهو يدعو إلى نبذ اللّغة الفصحى، والنّيل منها، ما يترتّب عن ذلك القضاء على الهويّة العربيّة الإسلاميّة.

من بين الذين عارضوا ما جاء به الشوباشي في مؤلّفه هذا هناك محمد داود من خلال تأليف كتاب تحت عنوان (دموع الشوباشي بين يدي سيبويه)، حيث نقد ما جاء به الشوباشي في الفصل الذي عنوانه بـ "رسالة إلى حراس الضاد" وقال عن ذلك أنّه: "كلام فضفاض من الممكن أن يكون مقالة حماسية في صحيفة، لكنّه يفتقر إلى العمق والدقّة والتّحديد والمنهجية العلميّة"¹، أي أنّ ما أورده في ذلك الجزء ليس له إضافة أو ما قد يؤخذ بعين الاعتبار وبجدية، وأنّه لم يتناول بطريقة علمية ودقيقة للمشكلة، وما قد يؤخذ بعين الاعتبار فيه كلّ النّاس على دراية تامّة به. فوجّه له كلاماً حول ذلك أيضاً قائلاً: "ثمّ انتبه يا صاحبي، إن شئت التّحديث الحقيقي فعليك بتحديث العقول والفكر ووسائل التّعليم. حينئذ ستحدث اللّغة، ألم أقل يا صاحبي مرارا وسوف أكرّرها لك في مناسبة: إنّ العيب فينا وما لفصاحنا عيب سوانا. وما يعقلها إلّا العالمون"²، بمعنى أنّ النّقطة التي اعتبرها الشوباشي هي المشكلة الكبرى في ضعف مستوى اللّغة العربيّة هي غير صحيحة، كون العيب في الأساليب والوسائل التّعليمية، وضرب مثال على ذلك الّا وهو كتاب رفاة الطهطاوي (ت1873م) "التحفّة المكتبيّة"³، وأنّه إذا كانت نيته الإصلاح حقّاً والتّطوير فلا يجب المساس باللّغة، وإنّما توجيه عقله إلى من يتحكّم فيها والذي يتمثّل في الفكر ووسائل التّعليم.

أمّا بخصوص قضية قديسية العربيّة والتي قال فيها الشوباشي: "والقول بأنّ العربيّة لغة توقيفية أيّ منزلة من السّماء، وبالتالي فهي لغة لا يجوز المساس بها، هو قول يناقض في رأيي صحيح الدّين الإسلامي"⁴. فاعتبرها محمد داود أنّه: "تحصيل حاصل، فليست هنالك مشكلة إلّا في ذهن المؤلّف"⁵، أي أنّ ما ذهب إليه معروف عند الجميع ولا وجود لمشكلة بالأصل كهذه، فقال: "فالعربيّة لغة مقدّسة في القرآن، لأنّه كلام الله عزّ وجلّ، الذي تعهّد الله بحفظه، فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: 9]. أمّا خارج القرآن فالعربيّة شأنها شأن كلّ اللّغات، تسمو إلى القمّة على لسان من

¹ - محمد محمد داود، دموع الشوباشي بين يدي سيبويه، د.ط. مصر: 2004م، منتدى سور اللّازبكية، ص39.

² - المرجع نفسه، ص42.

³ - المرجع نفسه.

⁴ - شريف الشوباشي، لتحيا اللّغة العربيّة يسقط سيبويه، ص74.

⁵ - محمد محمد داود، دموع الشوباشي بين يدي سيبويه، ص44.

يحسنها، وقد تهبط على لسان من لا يحسنها"¹، والمقصود من هذا أنّ المشكلة التي أدرجها الشوباشي إن كانت العربيّة مقدّسة أم لا غير موجودة في الأصل على أرض الواقع. بالإضافة إلى أن تكلمه عن "المسيحيين والعربيّة" وأنّ هناك من يعتبر المسيحيين لا علاقة لهم بالعربيّة وأنهم ممنوعون من تدريس لغة الضاد، بحجة أنّ معلم العربيّة يقوم إلى جانب ذلك بتدريس الدّين الإسلامي، وتقديمه أمثلة تاريخية عن اجتهادات المسيحيين في تطوير اللّغة العربيّة²، "فهو يفتعل مشكلة لا وجود لها في الواقع"³، وأنّه لا داع للحديث عنها بالأصل، كون الواقع حتّى الآن يثبت دورهم في هذا التّخصص ولا ينكره، فتهمّم عليه قائلا: "وقد أحسّ المؤلّف بالخلل والاضطراب الذي وقع فيه فعاد إلى صوابه ليظهر دور المسيحيين في التّراث العربي والحضارة العربيّة، سواء في القديم أو في الحديث"⁴، أيّ أنّه وقع في سوء فهم بأنّ المسيحيين مهمّشين في الوطن العربي الإسلامي، ففطن لذلك فصحّ خطأه عندما ذهب لتعداد مظاهر الأخوة التي كانت بينهم مع المسلمين وإسهاماتهم في اللّغة العربيّة.

وذكر أيضا ما تحدّث عنه عندما طرح سؤال: "كيف هجر العرب هذه اللّغة طوعا على الرّغم من عشقهم لها وتمسّكهم بها؟ لما لا يتكلّم النّاس في مصر أو في العالم العربي باللسان الفصيح؟"⁵ فقال عن هذا: "فلا زالت العربيّة تسمع في نشرات الأخبار وفي منتديات الشّعْر والمحافل العلميّة، وقاعات المحاضرات وفي خطب الجمعة والدّروس الدّينية، وتلاوة القرآن، وعلى المستوى المكتوب: نجد الكتب والصحف"⁶، وهو هنا يقرّ بأنّ اللّغة العربيّة لا زالت حالها ولا زالت تُستعمل في جميع مجالات الحياة البشريّة، وقال أيضا: "ثم دعوى الكاتب أنه لا يوجد عربي واحد في المشرق أو في المغرب يتعامل بالفصحى!! هل هذا كلام يقوله عاقل أو منصف؟! لقد أطاح صاحبنا بقمم المبدعين والمهرة في التحدّث بالعربيّة الفصحى بتلقائية... إنّه كلام يفتقر إلى الدقّة العلميّة، وهو أقرب إلى التّهويل والمبالغة الفجة التي يكذبها الواقع"⁷، بمعنى أنّ الشوباشي عمّم مسألة عدم إتقان العربيّة الفصحى وممارستها ممارسة صحيحة، وهذا خطأ فادح من جهته، لأنّه بذلك ينكر فصاحة المبدعين في هذه اللّغة وهذا كلام غير

¹ - محمد محمد داود، دموع الشوباشي بين يدي سيبويه، ص 44.

² - شريف الشوباشي، لتحيا اللّغة العربيّة يسقط سيبويه، ص 93-107.

³ - محمد محمد داود، دموع الشوباشي بين يدي سيبويه، ص 71.

⁴ - المرجع نفسه، ص 73.

⁵ - شريف الشوباشي، لتحيا اللّغة العربيّة يسقط سيبويه، ص 110.

⁶ - محمد محمد داود، دموع الشوباشي بين يدي سيبويه، ص 78.

⁷ - المرجع نفسه، ص 79.

الفصل الثاني: تحليل قضايا كتاب (لتحيا اللغة العربية يسقط سيبويه) لشريف الشوباشي

جائز فهناك من الإعلاميين وأساتذة الجامعات كلهم بلغوا أعلى قمة في الفصاحة. ومن جهة كذلك نقد الازدواجية التي عالجها الشوباشي بعنوان "شيزوفرينيا لغوية" والتي قال عنها: "إذا فكلّ عربي متعلّم يتعامل في حياته اليومية بلغتين مختلفتين حتّى وإن جمعتها مفردات عديدة وبعض القواعد العامة"¹، فيجيب عن هذا محمد داود: "...أننا لسنا أمام لغتين مختلفتين كما تخيل الشوباشي، ولكن أمام مستويين داخل لغة واحدة"²، فاللغة العربية عملة لوجهين الفصحى والعامية والمتكلم أو السامع لا يجد صعوبة بتاتا في فهمها أو التّكلم بها بطلاقة، ويقول أيضا: "ما أهون الأمر لو كانت مشكلة العقل العربي لغويّة كما ذكرت يا صاحبي!! ونكرر لك دائما: عجز اللّغة من عجز أهلها وعجز عقولهم"³، فالمشكلة ليست في اللّغة وإنما في مستعملها، فعجز العقل ينتج عنه وهذه حقيقة لا مفرّ منها. أمّا الفصل الذي اعتبره الأستاذ داود أخطر فصل في كتاب الشوباشي فهو "ضدّ تحنيط العربية" التي قدّم فيه كاتبه إصلاحات ومقترحات لإحياء اللّغة العربية وتبسيطها وعدّها: "ضدّ حقائق علم اللّغة الحديث، وأنّها لون من الهدم والإفساد للغة العربية، وهي مقترحات ميّنة، لأنّه يحاول أن يفرض على اللّغة العربية منطلقا سوريا غير، أو منطلق لغات أخرى لها نظامها المختلف عن النّظام اللّغوي للعربية"⁴، وبهذا يعلن رفضه التّام لهذه المقترحات كليا وأنّ لا منفعة منها وغير صحيحة، كونها تهدم العربية لا تصلحها، كما أنّها تتعارض مع الأساس الذي تقوم عليه.

ومن أقوى المعارضين للشوباشي أيضا أحمد درويش الذي نقد بشدة الكتاب من حيث عنوانه ومن حيث الاقتراحات الإصلاحية التي جاء بها المؤلّف، حيث يقول عن عنوانه: "لتحيا اللّغة العربية يسقط سيبويه" غير صحيح لغويا، ويتساءل عن ماهية اللّام (ل) التي وظفها في بدايته وماهي وظيفتها اللّغوية⁵، فهو يصرّ أن حتّى العنوان فيه إشكال وغير واضح ما المقصود منه. كما وصف الشوباشي بـ: "الحيوان الأليف الذي أراد أن ينقذ صاحبه ووجده نائما وسقط على وجهه الدّباب فقرر التّخلص من الدّابة

¹ - شريف الشوباشي، لتحيا اللغة العربية يسقط سيبويه، ص126

² - محمد محمد داود، دموع الشوباشي بين يدي سيبويه، ص95-96.

³ - المرجع نفسه، ص110.

⁴ - المرجع نفسه، ص170.

⁵ - مناقرة حول أزمة اللغة العربية ومشاكل تطويرها بين شريف الشوباشي ود. أحمد درويش، يوتيوب Khaled ACHOUR، 11 ديسمبر 2018م، الدقيقة: 16:31، مشاهدة بتاريخ: الجمعة 22 جويلية 2022، الساعة: 23:41، بتصرف.

بالقاء حجر عليها وعلى صاحبه"¹، وواصل كلامه: "ومن الحب ما قتل"²، أي أنّ أحمد شوقي يعترف بمدى حب الشوباشي للغة ولكن الحب وحده غير كاف وإنما كيفية توظيفه في السياق المناسب وبالطريقة الملائمة هو الأساس وبالتالي حتى لو كانت التّوايا جيّدة ولكن التّعبير عنها خاطئاً، فذلك سيسقط صاحبها في مشاكل وصراعات لا مخرج منها، كما أنكّر ما أقرّه حول أنّ العربية تجمّدت قائلاً: "أنّ هناك فرقا دون شكّ بين عربية أبي حيان التّوحيدي والجاحظ وأبي العلاء الجبرتي وعلي مبارك وطه حسين ونجيب محفوظ وكتاب صحفيين المعاصرين"³، فهو بضربه هذه الأمثلة يؤكّد أنّ التّمعن في كتاباتهم سيلاحظ فرقا شاسعا بين كلّ واحد منهم إمّا من حيث المفردات أو الأساليب أو غير ذلك وهم من فترات زمنية متعاقبة أي منذ القديم إلى الوقت الحالي. ويقول إنّ كلّ هذه عربية وإنّه ليس في العربية فصحي واحدة وإنما لديها فصحيات متعاقبة متداخلة فقط درجاتها الحيوية اختلفت من عصر إلى عصر وهذه هي المشكلة التي يجب تشغيل الضوء الأحمر عليها والهدف إصلاح طرائق التّعليم والتّوظيف وإذا لم يتمّ ذلك فتستهلك العربية من النّاحية الوظيفية⁴. ومنه فأحمد درويش أدلى بفكرته التي تقول على أنّ المشكلة ليست في اللّغة ولا في قواعدها وإنما في طريقة تدريسها والوسائل التي يسند إليها في ذلك، وفي كيفية تشكيل المهارات وهو الذي يجب السّعي وراء إصلاحه. فيعاتب أيضا الكاتب في مسألة إلغاء المثني، ويدافع عن هذه الأخيرة بالقول إنّ: "المثني من أجمل الأشياء الموجودة في اللّغة العربية والعامية"⁵، فالمثني خاصية تتفرد بها العربية عن غيرها من اللّغات وهي أجمل ما وظّفه الأدب العربي منذ القديم إمّا في الشعر أو النثر، كما فنّد ما تتداوله حول أزمة العامية والفصحى: "العامية من أهمّ الرّوافد التي هي مفيدة للفصحى: هذا رأي خاطئ"⁶، إذ لا ضرر في استعمال الشّخص أي واحدة منها وتكون تتناسب مع حياته اليومية والموقف الذي يعيشه، وأيّهما أصلح في ذلك الموقف.

وإضافة هناك العديد من اللّغويين الذين كانت فكرتهم ونظرتهم تجاه اللّغة العربية مخالفة لرأي الشوباشي وأبرزهم بعض من المستشرقين، بالرّغم من الدّاعين لإصلاحها وتبسيطها إلاّ أنهم لم يتفقوا معه

¹ - مناظرة حول أزمة اللغة العربية ومشاكل تطويرها بين شريف الشوباشي ود. أحمد درويش، يوتيوب Khaled ACHOUR، الدقيقة 9:02.

² - القناة نفسها، الدقيقة 9:18.

³ - القناة نفسها، الدقيقة 11:10، بتصرف.

⁴ - القناة نفسها، الدقيقة 11:26، بتصرف.

⁵ - القناة نفسها، الدقيقة 25:21، بتصرف.

⁶ - القناة نفسها، الدقيقة: 26:12.

الفصل الثاني: تحليل قضايا كتاب (لتحيا اللغة العربية يسقط سيبويه) لشريف الشوباشي

في النقاط التي درّسها ونقدتها، ويقصد بالمستشرق: "عالم متمكّن من المعارف الخاصّة بالشرق ولغاته وآدابه"¹، فهو عالم غربي يقوم بدراسة تاريخية، اقتصادية، فلسفية، دينية للشرق بشرط أن يكون متخصص متعمّق فيما يفعله فمجال دراستهم ينحصر في حياة مسلمي الشرق واللغة العربية ومن أهمهم هناك "بروكلمان C.BROCKELMANN" الذي يدافع عن الإعراب فيقول: "وقد احتفظت العربية القديمة بحالات الإعراب الثلاث الرئيسية سالمة"²، أي أنّ العربية حافظت على بنيتها النحوية الإعرابية عبر مرور العصور وبالتأكيد هذه ميزة استثنائية فيها، وفي نفس الصّد يقول "يوهان فوك Johann Fuchs": "لقد احتفظت العربية الفصحى في ظاهرة التصرف الإعرابي، بسمة من أقدم السمات اللغوية التي فقدتها جميع اللغات السامية باستثناء البابلية القديمة- قبل عصر نموّها وازدهارها الأدبي"³، بمعنى أنّ الإعراب ميزة أصيلة في اللغة العربية ومن بين أهم خصائصها الشخصية الآن. أمّا المستشرقة الألمانية "أنا ماري شميل Anne Marie Schimmel" فقد وضعت مقدمة للترجمة الألمانية للقرآن الكريم، وقالت فيها: "واللغة العربية لغة موسيقية للغاية ولا أستطيع أن أقول إلا أنها لغة أهل الجنة"⁴، فهي هنا تشيد بروعة اللغة العربية وأنها لغة موسيقية والذي يجعلها كذلك: المحسنات البديعية والسجع والبيان ما رفضه الشوباشي كلياً.

وهناك الأمريكي "وليام ورل William Wyler" الذي مدح العربية قائلاً: "اللغة العربية لها من اللين والمرونة ما يمكنها من التكيف وفق مقتضيات هذا العصر، وهي لم تنفقر فيما مضى أمام أيّة لغة من اللغات التي احتكّت بها وستحافظ على كيانها في المستقبل، كما حافظت عليه في الماضي"⁵، فلغة الضاد كما استطاعت التغلب على كلّ التأثيرات الخارجية في القديم وتمكّنت من مجابتهها، فهي حتّى الآن حافظت على قوتها ولن يسقطها أيّ شيء، تماماً كما تحدّث عنها طه حسين بكونها: "قدرة كبيرة

¹ - أحمد سمايلوفتش، فلسفة الإستشراق وأثرها في الأدب العربي، د.ط. القاهرة: 1998م، دار الفكر العربي، ص37.

² - فوزي شايب، "العربية تاريخ عريق ومآثر سامية"، مجلة مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية، مكة المكرمة: سبتمبر 2013م، ع02، ص159.

³ - يوهان فوك، العربية دراسات في اللغات واللهجات والأساليب، تر: رجضان عبد تواب، ط2، القاهرة: 1980م، مكتبة الخانجي، ص15.

⁴ - محمود علي الشرايبي، مقال "من وحي فكر اللغة: فضل اللغة العربية ومكانتها، 21 أبريل 2018م، <http://www.new.educ.com>، نقل: 22 جويلية 2022م، ساعة 00:30.

⁵ - محمد ضياء الدين خليل إبراهيم، "اللغة العربية والتحديات المعاصرة وآثار ومتطلبات"، مجلة الذاكرة، بغداد: جوان 2017م، ع9، ص318.

على تذييل الصّعب، وقوة واضحة في مجابهة الحياة، وإنّما تتّبع بقدرة فائقة على استيعاب كل جديد من العلم والحكمة ويزيد من مكانتها وعلو شأنها أنّها لغة القرآن¹؛ أي أنّها قادرة على مواكبة التّطورات التي تمسّ مختلف المجالات، ولها القابلية المستمرة للتّجديد والتّكيف مع تغيّرات العصر. وإلى جانب هذا يقول محمد حسين عبد العزيز: "العربية المعاصرة، تقوم بدور التّعبير عن حضارة المجتمع ومعارفه التي هي على جانب كبير من التّنوع"²، بمعنى أنّ العربية الفصحى المعاصرة هي مرآة المجتمع وتعكس ما فيه، وعن رغباته وحاجياته. وهناك أيضا عبودة الله منبع القيسي الذي دافع عن العربية، فقال: "العربية لغة فيها القدرة على التّعبير عن مشاعر الإنسان والجانب الإنساني فيه، وهذا ما يفتقد في اللّغات الأجنبيّة"³، فهو هنا يصف اللّغة العربية على أنّها لغة إحساس دافئة عكس اللّغات الأجنبيّة التي تتسم بالبرود والصلابة وتركز فقط على الماديات.

أمّا بخصوص قول الشوباشي بأنّ الإنجليزية لغة عالمية صرّح "صامويل هنتنغتون Samuel Huntington" مفنّدا ذلك في كتابه (صراع الحضارات): "إنّ اللّغة العربية على 92% من البشر في العالم لا يمكن أن تكون عالمية. بينما ارتفعت نسبة المتحدّثين باللّغة العربية ارتفاعا مطردا. فقد وضع "هنتنغتون" اللّغة العربية في رأس جدول يبين نسبة المتكلمين باللّغات الرئيسية في العالم. حيث كان عدد المتكلمين بها في ارتفاع مطرد، ففي عام 1958م كانت نسبة 7,2%، وفي عام 1970م ارتفعت النّسبة إلى 9,2%، وفي عام 1980م ارتفعت النّسبة إلى 3,3%، وفي عام 1992م 53%، وهي نسب تتحدّث عن نفسها، فقد بلغت سنة 1958م 9,8%، وفي سنة 1970م انخفضت إلى 9,1%، كما انخفضت عام 1980م إلى 7,7%، وأخيرا هذه الإحصائيات نسبيّة إلا أنّها ذات دلالات واضحة، وإشارات إيجابية ومبشرة"⁴. وبهذا يبرهن أنّ اللّغة الإنجليزية لم تكن لغة عالمية يوما كما يدّعي الآخرون، وقيل أيضا: "تتميّز اللّغة العربية بحركات الإعراب التي هي في حقيقة الأمر ضرب من ضروب الإيجاز إذ يدلّ بالحركة على معنى جديد غير معنى المادّة اللّغوية للكلمات، وغير معنى القالب الصّرفي لها، وهو معناها

¹ - طه حسين الدليمي وآخرون، اللغة العربية مناهجها وطرائق تدريسها، ط1. عمان: 2005م، دار الشروق، ص60.

² - محمد حسن عبد العزيز، الرطب بين الجمل في اللغة العربية المعاصرة، ط1. القاهرة: 2003م، مركز الشروق، ص41.

³ - عبودة الله منبع القيسي، العربية الفصحى مرونتها وعقلانيّتها وأسباب خلودها، ط1. عمان: 2008م، دار البلدية، ص209.

⁴ - علي يوسف اليعقوبي، "اللغة العربية الكونية أو الفناء"، مجلة للبحوث والدراسات، الجزائر: جانفي 2016، ع25-26، ص14.

الفصل الثاني: تحليل قضايا كتاب (لتحيا اللغة العربية يسقط سيبويه) لشريف الشوباشي

أو وظيفتها النحوية كالفاعلية أو المفعولية¹، فالإعراب هي الخاصية التي تختص بها العربية وتحدد المعنى المقصود من الكلمات والوظيفة التي تقوم بها داخل التركيب. وهناك الأستاذ عبد الرحمان الميداني الذي يدلّ بأن الإعراب من المستحيل الاستغناء عنه، قائلاً: "ولست أدري كيف تفهم الأجيال التي سنتشأ على إلغاء الإعراب مثل قوله تعالى: ﴿...إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر:28] وقوله تعالى أيضا في سورة البقرة: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: 124]. فلو ألغيا إعراب وسكنت أواخر الكلمات لكان المتبادل في النص الأول أن الله هو الذي يخشى العلماء، لأن العلماء هم الذين يخشونه ولكان المتبادل في النص الثاني أن إبراهيم هو الذي ابتلى ربه لا أن ربه هو الذي ابتلاه، مع أن الأمر في كل منهما يعكس ذلك، وقاعدة الإعراب هي التي حدت هذه المعاني ومنعت عنها الالتباس²، فهو يعتبر الإعراب ميزة في لغة العرب، تدفع عن المستمع الالتباس عن ما يقرأه أو يسمعه فيتمكّن من فهمه بشكل صحيح فبالإعراب تتضح المعاني ويكسب اللغة مرونة وحيوية. وأحمد سليمان ياقوت يعتبر أن: "الدعوة إلى إلغاء الإعراب ضرب من التخبط والعبث من غير مستند علمي، وهي كما قال بعض الباحثين تهدف إلى تعويض دعائم الفصحى وإزالة ركن قوي من أركان مقومات العرب والإسلام، وهي مقترنة بالدعوة إلى العالمية³، أي هو أحد أهم الأساسيات التي يعتمد عليها العرب لفهم لغتهم، ومن غير الصائب الدعوة إلى حذفه.

كانت هذه بعض الانتقادات المعارضة لآراء شريف الشوباشي واقتراحاته اللغوية وبعض الأفكار التي لا تتطابق مع التي جاء بها، فهناك طرف منهم يرى أن اللغة العربية لا تعاني من أي إشكال، وأنها لا تزال تحافظ على حيويتها وقوتها، أما الطرف الآخر فاعترف أن لغة الضاد تشتكي من أزمة حقيقية في طريقة وأسلوب تلقين وتعليم المادة اللغوية.

¹ -مازن المبارك، نحو وعي لغوي، د.ط. بيروت: 1979م، مؤسسة الرسالة، ص73.

² -عبد الرحمان الميداني، أجنحة المكر الثلاثة: التنشير - الإستشراق - الاستعمار، دراسة وتحليل وتوجيه، ط8. دمشق: 2000م، دار القلم، ص383-384.

³ - أحمد سليمان ياقوت، ظاهرو الإعراب وتطبيقاتها في القرن الكريم، د.ط. الجزائر: 1983م، ديوان المطبوعات الجامعية، ص35.

خلاصة الفصل:

شريف الشوباشي كاتب وصحفي مصري، أثار ثورة هوجاء على القواعد اللغوية العربية من خلال كتابه (لتحيا اللغة العربية يسقط سيبويه)، الذي طرح فيه عدّة قضايا صنّفها إلى عشرة فصول هي: برج بابل، هل هناك لغة عامية؟، رسالة إلى حراس الضّاد، هل العربية لغة مقدّسة؟، المسيحيون والعربية، المتنبّي يخاف من الإعراب، شيزوفرينيا لغوية، غاية اللغة، ضد تحنيط العربية، الاستثناء العربي. وكلّها تهدف إلى إثارة الوعي وتحفيزه على القيام بعملية إصلاحية فورية للقواعد اللغوية العربية التي يراها قد تكسّست، ولم تعد تستوعب التطور الذي يشاهده العالم، ولقد تولّدت عن هذه الدّعوى ردود فعل كثيرة انقسمت إلى مؤيدين وهم دعاة التّجديد والتّيسير، وإلى معارضين يمثّلون حماة التّراث اللغوي والرّافضين لأيّ مساس به.

خاتمة

والى هنا يصل البحث إلى آخر محطة، حيث تمّ استخلاص جملة منالنتائج النهائية، والمتمثلة في:

- تعدّد دوافع التّعقيد اللّغوي، من دافع ديني وقومي واجتماعي وغير ذلك،
- اعتمد العلماء واللّغويون في وضع الأحكام والقواعد على عدّة مصادر احتجّوا بها وهي: كلام العرب، في تشكيلهم النثري والشعري، القرآن الكريم والقراءات القرآنية، الأحاديث النبوية،
- تعدّد القراءات القرآنية من متواترة وصحيحة وشاذة،
- ظاهرة الاحتجاج بالحديث النبوي الشريف شكّلت ثلاثة أطراف: الموجزين والمانعين والمتوسّطين،
- أهمّ واضع القواعد العربية هو سيبويه في كتابه (الكتاب) والذي يعتبر مرجعا أساسيا في الدّراسات والأبحاث اللّغوية الحديثة،
- ظهور اتجاه التّجديد والتّسيير كردّ فعل على التّعقيد اللّغوي،
- يعتبر "ابن مضاء القرطبي" وكتابه (الرّد على النحاة) أوّل وأقوى صرخة نادى إلى التّسيير اللّغوي في القديم،
- بروز عدّة تيارات في العصر الحديث تفرّعت من الاتجاه التّجديدي، وهي: الإحياء، التّسيير، التّجديد،
- اللّغة العربية تعيش في الوقت الزّاهن صراعا جدّيا وحادا بين الفصحى والعامية، حتّى أصيبت بما يسمّى الانفصام أو الازدواج اللّغوي،
- كتاب "لتحيا اللّغة العربية يسقط سيبويه" للكاتب شريف الشوباشي هو من أهمّ الكتب اللّغوية التي أدّت إلى إصلاح القواعد العربية وجعلها ميسّرة على متكلّمها ومتعلّمها،
- ربط شريف الشوباشي التّخلف الذي يعيشه العالم العربي بتدنّي مستوى اللّغة العربية وعدم لحاقها بالتّطور الهائل الذي يعيشه العالم،
- أهمّ حل اقترحه الشوباشي والذي في نظره سيرفع من شأن اللّغة العربية ويجعلها ميسّرة هو إيجاد لغة وسط توفّق بين العربية الفصحى والعامية،
- انقسام المعارضين لشريف الشوباشي إلى طرفين: طرف جاء بمبدأ أنّ المساس بالعربية هو مساس بالدّين، وطرف عارضه من حيث التّسيير في قواعد هذه اللّغة أنّه مرتبط بطريقة تلقينها وتعليمها والوسائل المتبعة في ذلك.

ومن بين المقترحات التي أراها صائبة من أجل تحقيق التّقدم باللّغة العربية:

- التّخفيف من مضمون البرامج الدّراسية في مادّة اللّغة العربية وخاصّة لتلاميذ الابتدائي، وعدم حشو

عقله بما لا قدرة له على ذلك،

- حبذا لو تغير طرائق تدريس اللّغة العربية في المدارس بحيث تكون تشويقية حماسية بعيدة عن

الملل لتحبيبها عند التّلاميذ.

قائمة المصادر

والمراجع

القرآن الكريم.

أولاً: المعاجم اللغوية:

- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، د.ط. اسطنبول: 1972م، المكتبة الإسلامية.
- جمال الدين أبو الفضل محمد بن علي بن أحمد ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عبد الله عليه الكبير وآخرون، ط1. القاهرة: د.ت. دار المعارف.
- الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، د.ط. القاهرة: 1979م، دار الفكر، ج2.
- محمد أبو منظور بن أحمد الأزهرى، تهذيب اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، د.ط. القاهرة: د.ت، الدار المصرية للتأليف والترجمة.
- مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، ط4. القاهرة: 2004م، مكتبة الشروق الدولية.

ثانياً: المصادر والمراجع:

- إبراهيم عبد الله رفيده، النحو وكتب التفسير، د.ط. طرابلس: 1990م، الدار الجماهيرية، ج1.
- إبراهيم عمر سليمان زبيدة، حركة تجديد النحو وتيسيره في العصر الحديث - دراسة تحليلية تقويمية، ط1. طرابلس: 2004م، دراسة الكتب الوطنية.
- إبراهيم مصطفى، إحياء النحو، ط2. القاهرة: 1992م.
- أبو الفتح عثمان ابن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، د.ط. القاهرة: د.ت، دار الكتب المصرية، ج1.
- أبو الفتح عثمان ابن جني، سر صناعة الإعراب، تح: حسن هنداوي، ط1. دمشق: 1985م، ج1.
- أبو زكريا الفراء، معاني القرآن، تح: أحمد يوسف نجاتي وآخرون، د.ط. القاهرة: د.ت، دار السرور، ج1.
- أبو عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، تحقيق: عبد السلام هارون، ط2، القاهرة: 1965م، مكتبة مصطفى الباقي الحليب وأولاده.
- أبو هلال الحسن بن عبد الله سهل العسكري، الصناعية، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط1. القاهرة: 1952م، دار إحياء الكتب العربية.

- أحمد أنور الجندي، العربية بين حمايتها وخصومها، د.ط. القاهرة: 1950م، مطبعة الرسالة.
- أحمد بن عبد الرحمان محمد ابن مضاء القرطبي، الرد على النحاة، نشر وتح: شوقي ضيف، ط1. القاهرة: 1947م.
- أحمد سليمان ياقوت، ظاهرة الإعراب وتطبيقاتها في القرآن الكريم، د.ط. الجزائر: 1983م، ديوان المطبوعات الجامعية.
- أحمد شيخ عبد السلام، اللغويات العامة ندخل إسلامي وموضوعات مختارة، ط2. كوالالمبور: 2006م، دار التجديد.
- أحمد ممالوفتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي، د.ط. القاهرة: 1998م، دار الفكر العربي.
- أنور الجندي، الفصحى لغة القرآن، ط3. بيروت: 1982م، دار الكتاب الالمانية.
- أنيس فريحة، نحو عربية ميسرة، ط4. لبنان: 1973م، دار الثقافة.
- إيميل بديع يعقوب، فقه اللغة العربية وخصائصها، ط1، بيروت: 1982م، دار العلم الملايين.
- تمام حسان، الأصول: دراسة استيمولوجية الفكر اللغوي عند العرب النحو- الفقه اللغة- البلاغة، د.ط. القاهرة: 2000م، عالم الكتب.
- تمام حسان، مقالات في اللغة والأدب، د.ط. القاهرة: 2006م، عالم الكتب، ج1.
- جلال الدين السيوطي، الاقتراح في أصول النحو، تح محمد حسن محمد إسماعيل الشافعي، د.ط. بيروت: د.ت، دار الكتب العلمية.
- جلال الدين السيوطي، الاقتراح في أصول النحو، تح: عبد الحكيم عطية، ط2، دمشق: 2004م، دار البيروتي.
- الحافظ أبي الخير محمد الدمشقي الجزري، النشر في القراءات العشر، تصحيح: علي محمد الضباع، د.ط. بيروت: د.ت، دار الكتب العلمية، ج1.
- حسين بن زروق، العامية الجزائرية وجذورها النصيحة -دراسة مقارنة.
- حمد حسين آل ياسين، الدراسة اللغوية عند العرب، ط1. بيروت: 1989م، منشورات مكتبة الحياة.
- حمد سليمان ياقوت، النحو العربي تاريخه- أعلامه- نصوصه- مصادره، د.ط. القاهرة: 1994م، دار المعرفة الجامعية.

قائمة المصادر والمراجع

- حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، د.ط. بيروت: د.ت. دار اليوسف.
- خالد عبد الرحيم عبد الإله، الفكر النحوي عند نطو الأندلس في القرنين السادس والسابع الهجريين، دراسة وتحليل، ط1. القاهرة: د.ت.
- خديجة الحديثي، موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف، د.ط. بغداد: 1981م، دار الرشيد.
- خضر موسى محمد حمود، النحو والنحاة المدارس والخصائص، د.ط. بيروت: 2003م، عالم الكتب.
- خضر موسى محمد، النحو والنحاة، ط1، بيروت: 2003م.
- خليل حلمي، العربية وعلم اللغة النبوي، د.ط. القاهرة: 1996م، دار المعرفة الجامعية.
- الخليل محمد بن محمد الدمشقي الجزري، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، د.ط. القاهرة: 1931م، مكتبة القدسي.
- رمضان عبد التواب، فصول في فقه العربية، ط6. القاهرة: 1999م، مكتبة الخارجي.
- سعيد الأفغاني في أصول النحو، د.ط. حلب: 1994م، مديرية الكتب والمطبوعات الجماهيرية.
- سعيد الأفغاني، تاريخ النحو. د.ط. بيروت: د.ت، دار الفكر.
- سعيد بن محمد بن أحمد الأفغاني، الموجز في قواعد اللغة العربية، د.ط. بيروت: 2003م، دار الفكر.
- شريف الشوباشي، لتحيا اللغة العربية يسقط سيبيويه، ط3. القاهرة: 2004م، دار المعارف المعرفية.
- شعبان محمد إسماعيل، القراءات وأحكامها ومصادرها، د.ط. مكة المكرمة: د.ت، الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي.
- شوقي ضيف، المدارس النحوية، د.ط. القاهرة: 1968م، دار المعارف، ج1.
- شوقي ضيف، تيسير النحو التعليمي قديما وحديثا مع نهج تجديده، ط2. القاهرة: 1993م، دار المعارف.
- صبحي صالح، علوم الحديث ومصطلحه، ط15. بيروت: 1984م، دار العلم للملايين.
- طه حسين الدليمي وآخرون، اللغة العربية مناهجها وطرائق تدريسها، ط1. عمان: 2005م، دار الشروق.

قائمة المصادر والمراجع

- عائشة عبد الرحمان بنت الشاطي، لغتنا والحياة، د.ط. القاهرة: 1971م، دار المعارف العصرية.
- عباس حسن، اللغة والنحو بين القديم والحديث، د.ط. القاهرة: 1966م، دار المعارف.
- عبد الرحمان أحمد الإمام، تيسير النحويين التجديد والفوضى، د.ط. بيروت: 2015م، المؤتمر الدولي.
- عبد الرحمان الميداني، أجنحة المكر الثلاثة التبشير - الاستشراق - الاستعمار، دراسة وتحليل وتوجيه، ط8، دمشق: 2000م، دار القلم.
- عبد الرحمان أيوب، دراسات نقدية في النحو العربي، د.ط. الكويت: 2013م، مؤسسة الصباح.
- عبد الرحمان جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، د.ط. القاهرة، د.ت، الهيئة المصرية للكتاب، ج1.
- عبد الرحمان حاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، د.ط. الجزائر: 2012م، موفم للنشر، ج1.
- عبد القادر البغدادي، خزانة الأدب ولب لسان العرب، تح: عبدالسلام هارون، د.ط. القاهرة: 1997م، مكتبة الخانجي.
- عبد القادر المهيري، نظرات في التراث اللغوي العربي، ط1، بيروت: 1993م، دار غريب الإسلامي.
- عبد المجيد قطامش، الأمثال العربية، دراسة تاريخية، تحليلية، ط1، دمشق: 1988م، دار الفكر.
- عبودة الله منيع القيسي، العربية الفصحى مرونتها وعقلانيتها وأسباب خلودها، ط1. عمان: 2008م، دار البلدية.
- عز الدين المجدوب، المنوال النحوي العربي، ط1. تونس: 1998م، دار محمد علي الحامي.
- عفاف حسانين، في أدلة النحو، ط1. القاهرة: 1996م، المكتبة الأكاديمية.
- عفيف دمشقية، أثر القراءات القرآنية في تطور الدرس النحوي، ط1. بيروت: 1978م، معهد الأبناء العربي.
- علي النوري بن محمد السفاقي، غيث النفع في القراءات السبع، تح: أحمد محمود عبد السميع الشافعي الحفيان، ط1. بيروت: 2004م، دار الكتب العلمية.
- علي عبد الوافي، فيه اللغة العربية، ط7. القاهرة: 1972م، دار النهضة.

قائمة المصادر والمراجع

- علي مزهري الياسري، الفكر النحوي عند العرب أصوله ومناهجه، د.ط. بيروت: 2003م، الدار العربية للموسوعات.
- عوض أحمد القوزي، المصطلح النحوي ونشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري، مكة المكرمة: 1981م، جامعة الرياض.
- فخر الدين قباوة، مشكلة العامل النحوي ونظرية الاقتضاء، بيروت: 2003م، دار الفكر.
- كارم السيد غنيم، اللغة العربية والصحة العلمية الحديثة، د.ط. القاهرة: د.ت، مكتبة ابن سينا.
- الكفوري أبو البقاء بن موسى الحسني، الكليات، تح: عدنان درويش، محمد المصري، د.ط، بيروت: 1998م، مؤسسة الرسالة.
- كمال بشر، اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم، د.ط. القاهرة: 1999م، دار غريب.
- لازم المبارك، نحو وعي لغوي، د.ط. بيروت: 1979م، مؤسسة الرسالة.
- محمد أحمد مفلح القضاة، أحمد خالد سيكري، محمد خالد منصور، مقدمات في علم القراءات، ط1. عمان: 2001م، دار عمار.
- محمد الخضر حسين، دراسات في اللغة العربية وتاريخها، ضبطه: علي رضا الحسيني، د.ط. القاهرة: 2000م.
- محمد بن القاسم ابن الأنباري، لمع الأدلة في أصول النحو، تح: سعيد الأفغاني، د.ط. دمشق: 1987م.
- محمد بن يوسف بن علي بن يوسف أبي حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، تح: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، ط1. بيروت: 1993م، دار الكتب العلمية، ج4.
- محمد حسن العزيز، الربط بين الجمل في اللغة العربية المعاصرة، ط1. القاهرة: 2003م، مركز الشروق.
- محمد حسن جبل، الاحتجاج بالشعر في اللغة الواقع ودلالاته، ط1، القاهرة: 1977م، دار الفكر العربي. ص75.
- محمد حماسة عبد اللطيف، لغة الشعر دراسة في الصورة الشعرية، د.ط. القاهرة: 2006م، دار غريب.
- محمد خير الحلواني، أصول النحو العربي، ط2. الرباط: 1983م، مطبعة إفريقيا الشرق.
- محمد شريف الجرجاني، كتاب التعريفات، د.ط. بيروت: 1985م، مكتبة لبنان.

- محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، تح: فواز أحمد زملي، ط3. بيروت: د.ت، دار الكتاب العربي، ج1.
- محمد عيد، أصول النحو العربي في نظر النحاة ورأي ابن مضاء وضوء علم اللغة الحديث، ط4. القاهرة: 1989م، عالم الكتاب.
- محمد عيد، الاستشهاد والاحتجاج باللغة: رواية اللغة والاحتجاج بها في ضوء علم اللغة الحديث، ط3. القاهرة: 1988م، عالم الكتب.
- محمد عيد، قضايا معاصرة في الدراسات اللغوية والأدبية، ط1. القاهرة: 1939م، عالم الكتب.
- محمد كاظم البكاء، منهج كتاب سيبويه في التقويم النحوي، ط1. بغداد: 1989م، دار الشؤون الثقافية العامة، آفاق العربية.
- محمد محمد داود، دموع الشوباشي بين يدى سيبويه، د.ط. القاهرة: 2004م، منتدى سور الأمريكية.
- المختار أحمد ديرة، دراسة في النحو الكوفي، ط1. بيروت: 1991م، دار قنتية.
- مصطفى ديب البغا، محي الدين مستو، الواضح في علوم القرآن، القاهرة: 1931م، مكتبة القدسي.
- مكي بن أبي طالب حموش القيسي، الإبانة عن معاني القراءات، تح: عبد الفتاح الشلبي، د.ط. القاهرة: د.ت، دار نهضة مصر.
- موسى نهاد، اللغة العربية في العصر الحديث، ط7. عمان: د.ت، دار الشروق.
- مختار أحمد عمر، البحث اللغوي عند العرب، ط6. القاهرة: 1988م، عالم الكتب.
- نعمة رحيم العزاوي، في حركة تجديد النحو وتيسيره في العصر الحديث، د.ط. بغداد: 1995م، دار الشؤون الثقافية العامة.
- ياسين أبو الهيجاء، مظاهر التجديد النحوي لدى نجم اللغة العربية في القاهرة حتى عام 1983م، د.ط. عمان: 2008م، عالم الكتب الحديث.
- يعقوب بن عبد الوهاب الباحثين، المفصل في القواعد الفقهية، ط2. الرياض: 2011م.

ثالثاً: الكتب المترجمة:

- روي هاريس وتوليت جي تيلر، أعلام الفكر اللغوي، تر: أحمد شاكر الكلابي، ط1. طرابلس: 2004م، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ج3.
- سنتكفيتش، العربية الفصحى الحديثة بحوث في تطور الألفاظ والأساليب، تر: محمد حسين عبد العزيز، د.ط. القاهرة: 1985م، دار الغر.
- يوهان فك، العربية دراسات، تر: رمضان عبد تواب، ط2. القاهرة: 1980م، مكتبة الخانجي.

رابعاً: المجلات والدوريات:

- مجلة الأزهر، القاهرة: 2020م.
- "أثر اللهجات العربية في التأصيل النحوي، مقارنة في القيمة التعليمية وتسيير المناهج شرح ابن عقيل نموذجاً"، جامعة الموصل، بغداد: أكتوبر 2013م، المجلد 8، ع31.
- مجلة البلدية في الآداب والعلوم التربوية، بغداد: 2008م، ع1-2.
- مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، ع17، 2013م.
- مجلة الجامعة الإسلامية، القدس: جوان 1997م، ع02.
- مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، ع30، 2015م.
- علا إسماعيل الحمزاوي، "موقف شوقي ضيف من الدرس النحوي، دراسة في المنهج والتطبيق"، كلية الآداب - جامعة الميزان.
- المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة التخصصات، ع39، سبتمبر 2021م.
- مجلة للبحوث والدراسات، الجزائر: جانفي 2016م، ع25-26.
- مجلة اللغة العربية على الشبكة العالمية، مكة المكرمة: سبتمبر 2013م، ع2.
- مجلة إشكالات في اللغة والأدب، ع07، ماي 2015م، مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية.
- مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر: 30 ديسمبر 2005، ع02.
- مجلة الذاكرة، بغداد: جوان 2017م، ع9.
- مجلة مجمع اللغة العربية في دمشق، دمشق: 30 جوان 2008م، ج2، ع2.
- جريدة العرب، القاهرة: الأحد 17 ماي 2015م، ع9920.
- أشغال ندوة اللسانيات واللغة العربية، الجامعة التونسية، تونس: 13-14 ديسمبر 1978م، سلسلة4.

خامسا: مواقع إلكترونية:

- أسطورة بابل وعلاقته بالترجمة وتعدد اللغات، المرسل، <http://www.almersal.com>،

2022/02/11.

- محمود علي شرابي، مقال "من وحي الفكر اللغة: فضل اللغة العربية ومكانتها، 21 أبريل 2018م، <http://www.new.educ>.

- مناظرة حول أزمة اللغة العربية ومشاكل تطويرها، بين شريف الشوباشي ود. أحمد درويش، يوتيوب: KhaledAchour، ديسمبر 2018م.

- مؤسسة هنداوي، كتبوا مؤلفات شريف الشوباشي، 2022م.

- ويكيبيديا، شريف الشوباشي، [ar.m. wikipedia. Org](http://ar.m.wikipedia.org)، سبتمبر 2021م.

الفهرس

1 مقممة

الفصل الأول

اللغة العربية بين التّعيد والتّجديد.

- 1 - التّعيد اللّغوي 6
- 1 - 1 - مفهوم التّعيد اللّغوي.. 6
- أ - من الناحية اللغوية..... 6
- ب - من الناحية الاصطلاحية 6
- 1 - 2 - أسباب التّعيد اللّغوي.. 7
- 1 - 3 - دوافع التّعيد اللّغوي. 9
- أ - دافع ديني. 9
- ب - دافع قومي. 9
- ت - دافع اجتماعي. 9
- 2 - الاحتجاج في التّعيد اللّغوي. 9
- 2 - 1 - تعريف الاحتجاج. 9
- أ - من الناحية اللغوية. 10
- ب - من الناحية الاصطلاحية. 10
- 2 - 2 - مصادر الاحتجاج. 11
- أ - كلام العرب. 11
- ب - القرآن الكريم. 15
- ت - الحديث النبوي الشريف. 25
- 3 - أشهر علماء اللغة العربية. 27
- 3 - 1 - أبو الأسود الدّولي (ت69هـ). 27
- 3 - 2 - الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت170هـ). 28
- 3 - 3 - سيبويه (ت180هـ). 29
- 3 - 4 - ابن جنّي (ت392هـ). 30

- 31 3 - 5 - أبو عمرو بن دريد (ت104هـ).
- 32 4 - تجديد القواعد العربية وتيسيرها.
- 32 4 - 1 - محاولات القدامى التيسيرية.
- 34 4 - 2 - ثورة ابن مضاء القرطبي التيسيرية.
- 35 أ - إلغاء نظرية العامل.
- 37 ب - إلغاء مبدأ الإضمار والتقدير.
- 38... ت - إلغاء القياس.
- 39 ث - إلغاء التمارين غير عملية.
- 39 4 - 3 - محاولات المجددين التيسيرية.
- 40..... أ - الإحياء.
- 42..... ب - التيسير.
- 46..... ت - التجديد.
- 51 5 - أسباب ودواعي التجديد والتيسير اللغوي.
- 51 5 - 1 - دواعي التجديد اللغوي في القديم.
- 53..... 5 - 2 - دواعي وأسباب التجديد في العصر الحديث.
- 54.. 6 - الازدواج اللغوي بين اللغة العربية الفصحى والعربية العامية.
- 55.... 6 - 1 - تعريف اللغة.
- 55 أ - من الناحية اللغوية.
- 55 ب - من الناحية الاصطلاحية.
- 56 6 - 2 - اللغة العربية الفصحى.
56. أ - تعريف الفصاحة.
- 57 ب - تعريف اللغة العربية الفصحى.
- 57..... ت - خصائص ومميزات اللغة العربية الفصحى.
58. 6 - 3 - العربية العامية.
- 58... أ - تعريف العامية.

- ب - مميّزات العاميّة. 59.
- 6 - 4 - الازدواج اللّغوي. 59
- أ - تعريف الازدواج اللّغوي. 59
- ب - أسباب الازدواج اللّغوي. 60
- ت - الدعوات إلى استخدام العاميّة. 60
- خلاصة الفصل. 62

الفصل الثّاني

تحليل قضايا كتاب "لتحيا اللّغة العربيّة يسقط سيبيويه" لشريف الشوباشي.

- 1- شريف الشوباشي وكتابه "لتحيا اللّغة العربيّة يسقط سيبيويه". 64
- 1 - 1 - التّعريف بالشوباشي. 64
- أ - ولادته وحياته. 64
- ب - مسيرته المهنيّة. 64
- ت - مؤلفاته. 64
- 1 - 2 - التّعريف بكتاب الشوباشي "تحيا اللّغة العربيّة يسقط سيبيويه". 65
- 2- القضايا التي تناولها كتاب لتحيا اللّغة العربيّة يسقط سيبيويه. 66
- 2 - 1 - الفصل 1: برج بابل. 66
- 2 - 2 - الفصل 2: هل هناك لغة عالميّة. 70
- 2 - 3 - الفصل 3: رسالة إلى حراس الضّاد. 71
- 2 - 4 - الفصل 4: هل العربيّة مقدّسة؟. 73
- 2 - 5 - الفصل 5: المسيحيّون والعربيّة. 75
- 2 - 6 - الفصل 6: المتنبّي يخاف من الإعراب. 78
- 2 - 7 - الفصل 7: شيزوفرينيا لغوية. 79
- 2 - 8 - الفصل 8: غاية اللّغة. 81
- 2 - 9 - الفصل 9: ضدّ تحفيظ العربيّة. 84
- 2 - 10 - الفصل 10: الاستثناء العربي. 86

3 - مواقف وآراء شريف الشوباشي اللغوية من خلال كتابه "لتحيا اللغة العربية يسقط سيبويه" بين تأييد ومعارضة.	88
3 - 1 - المؤيدون.	88
3 - 2 - المعارضون.	93
خلاصة الفصل.	101
خاتمة.	102
قائمة المصادر والمراجع.	105
الفهرس.	114

ملخص:

يعدّ البحث دراسة تحليلية لكتاب يعالج قضية اللغة العربية في العصر الحديث، وعنوانه "لتحيا اللغة العربية يسقط سيبويه" للكاتب شريف الشوباشي.

وقد تناولت فيه عملية التّقييد اللّغوي وما يرتبط بها من أسباب ودوافع ومصادر الاحتجاج فيها وأهمّ المساهمين في وضع القواعد اللّغوية العربية، ثمّ عرضت اتّجاه التّجديد الذي جاء معارضا لتلك القواعد، والآراء اللّغوية للمؤلّفين المجدّدين وموقفهم من أصول العربية وأحكامها. كما تطرّقت لدراسة كتاب المؤلّف شريف الشوباشي، وتحليل قضاياه، وإبراز موقفه من قواعد لغة الضّاد، مع ذكر بعض المؤيدين والمعارضين لما جاء به من اقتراحات وفكرة ضرورة إصلاح العربية.

وكلّ هذا من أجل معرفة أسباب تراجع اللغة العربية مقارنة باللّغات الأخرى، وكيف يمكن جعلها تستدرك قطار التّطور.

الكلمات المفتاحية: اللغة العربية، التّقييد اللّغوي، الاحتجاج، التّجديد.

Abstract:

The research is an analytical study of a book that addresses the issue of the Arabic language in the modern day, entitled (Long Live the Arabic Language, Falls Sibawayh) by Sherif El-Shubashi.

It deals with linguistic regularization process and associated reasons, motives and sources of protest, and the most important contributors to the development of Arabic grammar. Then it presented the renewal perspective that came in opposition to those rules, the linguistic views of the renewed authors and their position on the origins and provisions of Arabic. It also touched on the study of Sherif Al-Shoubashi's book, analyzing its issues, and highlighting his position on the rules of the Dhad language, mentioning some supporters and opponents of his ideology to reform Arabic.

The above study is conducted to know the reasons why Arabic is declining compared to other languages, and how it can catch up the train of evolvement.